جلال الدّين البلخيّ
رمز من الشّرق في ضمير الغرب

د./ فريد قـطاط

أستـاذ أصول الدّين واللّغة الفارسيّة

بالمعهد العالي لأصول الدّين/جامعة الزّيتونة – تونس.

من يعرف نفسـه والآخرين
يعتـرف هنا أيضا أنّ :
الشّـرق والغـرب
لا يمكـن بعد أن يفتـرقـا
وبـودّي أن أهدهـد نفسـي
سعيـدا بين هذين العالميـن
وإذن، فالتّحرّك بين الشّرق والغـرب
هـو الملـك الأفضـل.

الشّـاعر الألمانيّ يـوهان فولفغانغ فون جوته

(1749م- 1832م). (*)

---

*) جوته، يوهان فولفغانغ فون – الدّيوان الشّرقيّ للمؤلّف الغربيّ – ترجمه عن الألمانيّة عبد الرّحمن بدوي – المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر – بيروت – الطّبعة الثّانية – 1980م، ص 339.

والعنوان الأصليّ للدّيوان باللّغة الألمانيّة، هو : – GOETHE, Johann Wolfgaung Von West Osticher divan = West-eastern divan = West-Oestlicher divan ,

1. النّـــاس كلّهم عيـــال الله :

التّآلف والوئام بين الأديان، قيمة إنسانيّة أساسيّة ومصيريّة، كرّس الحكماء والعقلاء عبر التّاريخ جهودهم لتحقيقها، لأنّه لا سعادة في هذا الوجود، ولا استقرار في هذا الكون إلاّ بإشاعة روح الأخوّة الإنسانيّة، والتّضامن والتّعاون، والتّعايش السّلميّ، والانفتاح الإيجابيّ على الآخر، مهما اختلفت الدّيانات والمذاهب، وتنوّعت الثّقافات والحضارات ، ذلك أنّ الاختلاف والتّنوّع ليس سوى مظهر شكليّ، من الجائز أن يكون رمزا للدّلالة على تعدّد مظاهر الجمال والإتقان المتجلّية في الآيات الكونيّة الّتي عبّر عنها الجليل جلّ جلاله في الآية الكريمة بقولـــه : ﴿ **ومن آياته خلق السّماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إنّ في ذلك لآيات للعالمين** ﴾ [1]، وإذا كان إبراز الجمال والإتقان، واختلاف الألسنة والألوان، وتعدّد الثّقافات والحضارات، وتنوّع الشّرائع والأديان، من أهداف إبداع الوجود والأكوان في الظّاهر، فإنّ للباطن شأنا آخرَ، إذ من غاياته السّامية، غرس مكارم الأخوّة، وتجذير معاني الوحدة الإنسانيّة في أقدس تجلّياتها الّتي وردت في جوامع الكلم للرّحمة المهداة إلى العرب والعجم : "الخلق عيال الله، فأحبّهم إلى الله أنفعهم لعياله"[2]، وبهذا تتوحّد الإنسانيّة في توجّهها إلى عبادة ربّ واحد، وإن تعدّدت تجاربها وآختلفت مذاهبها وتنوّعت شرائعها، فهي تؤول جميعا إلى مذهب واحد ودين أوحد، لا آعتبار فيه للشّكل والمظهر بقدر ما يهتمّ بالغاية والجوهر، وهذا ما عبّر عنه الذّكر الحكيم بعد أن أورد قصص الأنبياء والمرسلين : ﴿ **إنّ هذه أمّتكم أمّة**

---

1) الرّوم : 22.

2) أبو يعلى – المسند – حقّقه وخرّج أحاديثه ظهير الدّين عبد الرحمن – دار الفكر، بيروت، 1422هـــ/2002م، ج 3، ص 111، الحديث رقم 3315، وقد ورد في الهامش : وذكره الهيثمي في "مجمع الزّوائد" (ج 8، ص 191)، وانظر أيضا الحديث رقم 3370 و3478 من مسند أبي يعلى الموصلي.

واحدة وأنـــــا ربّكم فاعبدون ﴾[3]، وقد استخرج العلاّمة ابن عاشور جواهر هذه الآية، بإبرازه المسائل التّالية :

- الخطاب في الآية موجّه إلى الأنبياء المذكورين في الآيات السّابقة.

- ظاهر العطف يقتضي دخول قوله تعالى : ﴿ **وإنّ هذه أمّتكم أمّة واحدة** ﴾ في الكلام المخاطب به الرّسل.

- إن كان خطابا للرّسل، فإنّ ممّا يقصد به تبليغ ذلك لأتباعهم ليعلموا أنّ دين الله واحد، وذلك عون على قبول كلّ أمّة لما جاء به رسولها، لأنّه معضود بشهادة من قبله من الرّسل.

- معنى كونها أمّة أنّها توحّد الله، فليس دونه إلاه، وهذا حال شرائع التّوحيد.

- أصل الأمّة الجماعة الّتي حالها واحد، فأطلقت على ما تكون عليه الجماعة من الدّين بقرينة أنّ الأمم ليست واحدة.

- يجوز أن تكون الجملة استئنافا، والخطاب لأمّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم - أي أنّ هذه الملّه، وهي الإسلام - هي ملّة واحدة لسائر الرّسل، أي أصولها واحدة... [4].

2. حلـــــول الشّـــــرق في الغــــرب :

تتنزّل العلاقة بين الشّرق والغرب في إطار ما ترمز إليه شخصيّة جلال الدّين البلخيّ ممثّلا للرّوح الشّرقيّة المستضيئة بهدي الرّسالة المحمّديّة، في أجلّ ما تتميّز به من دعوة إلى الصّفاء والإخاء، والتّسامح والتّصالح، والسّلام

3) الأنبياء : 92.

4) ابن عاشور، محمّد الطاهر : تفسير التّحرير والتّنوير، الدّار التّونسيّة للنّشر، الدّار الجماهيريّة للنّشر والتّوزيع والإعلان، بلا تاريخ، ج 17، ص ص 139-140.

والوئام، والوفاق ومكارم الأخلاق، والالتزام باحترام الإنسان في كلّ زمان ومكان، دونما تمييز أو تبعيض، وذلك التزاما بالنّداء السّرمديّ الّذي صدع به الوحي الإلاهيّ : ﴿ **يا أيّها النّاس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ (5)، فهذه الدّعوة عالميّة، شاملة لكلّ النّاس، يشعّ نورها في الشّرق ليهتدي به الخلائق في الشّرق والغرب مصداقا لقول ربّ المشارق والمغارب : ﴿ **الله نور السّماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنّها كوكب درّيّ يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقيّة ولا غربيّة يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للنّاس والله بكلّ شيء عليم.** ﴾ (6)

وأمّا الغرب، فهو في هذا المقام الجهة المتفاعلة مع دعوة الوئام والسّلام الصّادرة عن الشّرق، وقد عبّرت النّخب العلميّة في الغرب، من أدباء وفلاسفة ورجال دين، عن الحنين إلى الامتزاج بالرّوح الشّرقيّة، والسّعي إلى الاستفادة من الكنوز المعنويّة والرّوحيّة الّتي يزخر بها الشّرق، فقد أكّد جان پيار مارتينو (1880م – 1953م) *Jean-Pierre Martino* "أنّ الآداب الغربيّة في ذلك العصر (7) كانت دوما تحت تأثير الأفكار الشرقيّة" (8)، كما "أنّ تأثّر المبلّغين الدّينيّين، وامتداح العلماء للشّرق قد مهّدا الطّريق يقينا، ومنذ زمن بعيد، إلى تطلّع النّخب الغربيّة للاتّحاد بالرّوح الشّرقيّة، وكان لكلّ من يطالع آثار هؤلاء العلماء بدقّة نصيب من التأثّر والتّعلّق بالحكمة والفضائل الشّرقيّة" (9)، وقد ورد

---

5) الحجرات : 13.

6) النّور : 35.

7) يقصد القرنين السّابع عشر والثّامن عشر للميلاد.

8) مارتينو، جان پيار : شرق در ادبيّات فرانسه قرون هفدهم وهجدهم (الشّرق في الآداب الفرنسيّة خلال القرنين السّابع عشر والثّامن عشر)، ترجمه عن الفرنسيّة إلى الفارسيّة جلال ستّاري، نشر مركز – تهران، ط 1، 1381 هجري شمسي/2002م، ص 167.

9) المرجع نفسه، ص ص 134-135.

على لسان فولتـــــار (1694م-1778م) *Voltaire* "أنّ الشّرق مهد لجميع الأديان، وأنّنا نخطئ الظّن إذ اعتبرنا أنّ كلّ شيء في الوجود يعود فضله إلينا وإلى اليهود، ويمكن الوقوف على أخطائنا هذه بمجرّد التّفحّص الدّقيق في الحضارات الشّرقيّة القديمة" [10]، ويستنتج جان پـــيار مارتينو من هذا الموقف أنّ " فولتــــار اتّجه إلى دراسة تاريخ الأديان بدقّة وعمق، وحاول أن يستدلّ على وجوب التّسامح بين الأديان بتطبيق منهج عقليّ، يسقط التّوهّم بأنّه لا يوجد سوى دين واحد يحظى بالصّحّة المطلقة، وهذا ما اضطرّ الفلاسفة اضطرارا إلى المناداة بالدّين الطّبيعيّ، باعتباره مؤسّسا للإيمان بالله على دليل الفطرة، وقد ساقهم هذا الموقف الجديد إلى التّخلّي عن الاتّجاهات المنغلقة الّتي تطرد جميع الأديان، وترى أنّه لا وجود إلاّ لدين واحد، هو المسيحيّة" [11].

وقد كان جيمز راسل لوول (1819م-1891م) *James Russel Lowell* يعبّر بوضوح عن تعلّقه بالرّوح الشّرقيّة، فقال بعد زيارته إلى القسطنطينيّة مقولته الّتي صدرت عن أعماق مشاعره : "إنّني أحبّ الأتراك" [12]، وكذلك فعل بعد عودته من إسبانيـــا : "إنّني أحبّ أهالي إسبانيـــا حبّا جمّا... إنّ الرّوح الشّرقيّة لا تزال كامنة فيهم إلى الآن" [13]، وينتهي به المطاف إلى الاعتراف بقوله : "رغم أنّ اطّلاعي على الآداب الآسيويّة لا يتجاوز التّرجمات الأوروبّية، فإنّه كثيرا ما ينتابني الشّعور بأنّني عشت منذ أقدم العصور في الأرجاء الشّرقيّة المنسيّة" [14].

10) المرجع نفسه، ص 151.

11) المرجع نفسه، ص 151.

12) تميم داري، أحمد : مولوى پژوهى در كشورهاى انگليسى زبان (البحوث المولويّة في البلدان النّاطقة باللّغة الأنجليزيّة)، ضمن كتاب : مولانا وجهان معاصر (مولانا والعالم المعاصر)، مجموعة مقالات أشرف على جمعها غلام رضا أعواني، نشر مؤسسة الدّراسات حول الحكمة والفلسفة في إيران، تهران، ط 1، 1386هجري شمسي/2007م، ج 5، ص 18.

13) المرجع نفسه، ص 19.

14) المرجع نفسه، ص 19.

وإذا ما آنتقلنا إلى فضاء الثّقافة الألمانيّة، فإنّنا سنجد أنّه كان لتيّار التّفاعل بين الشّرق والغرب أثر قويّ في رسم معالم الانسجام والوئام بين هذين العالمين من جهة التأثّر والتّأثير المتبادل، وهذا مبحث يستغرق جهدا دفع المفكّر والفيلسوف والشّاعر محمّد إقبال (1877م–1938م) إلى القول : "وبعد، فلابدّ من بحث طويل لكتابة تاريخ كامل لتأثير الشّرق في الأدب الألمانيّ، والمقابلة بين شعراء إيران وألمانيا، لتقدير أثر العجم تقديرا حقّا، ولكن لم يتيسّر الوقت ولا العدّة لهذا البحث. ولعلّ هذا البحث المختصر يثير قلب أحد الشّبان للتّحقيق والتّدقيق في هذا الشّأن" (15)، وعزا محمّد إقبال تطلّع الغربيّين إلى الاتّحاد بالوجدان المعنويّ والفضاء الإنسانيّ للرّوح الشّرقيّة إلى التّشابه والتّماثل بين ألمانيا قبل مائة عام وأحوال الشّرق، فقال : "ولا ريب أنّ بين ألمانيا قبل مائة سنة وأحوال الشّرق الحاضرة تشابها ما، ولكنّ الحقيقة أنّ الاضطراب الباطن في أمم العالم... الّذي لا نستطيع تقدير خطره لأنّنا متأثّرون به، هو مقدّمة انقلاب حضاريّ وروحانيّ عظيم جدّا" (16)، وقد كانت هذه المقاربة الّتي توصّل إليها محمّد إقبال سببا في تبنّيه لنظريّة "تجديد السّيرة الإنسانيّة" الّتي من شأنها أن ترفع علاقات الأفراد والجماعات فوق ضيق الحدود الجغرافيّة، والتّاريخيّة أيضا، لتضمّ الإنسانيّة كافّة، وقد عبّر عن هذا الاتّجاه بقوله : "وإنّه لجدير بالإكبار كلّ مسعى في العالم – ولا سيّما في بلاد الشّرق – يقصد إلى أن يرفع أنظار الأفراد والجماعات فوق الحدود الجغرافيّة، فيولّد أو يجدّد فيها سيرة إنسانيّة صحيحة قويّة" (17)، وإنّنا نعتبر أنّ إقبال – بمقاربته هذه – مشارك لنا، أبناء هذا العصر، في الدّعوة إلى الوئام والسّلام بين مختلف الأمم والأقوام، بل لعلّه من الأجدر أن نقول إنّ هذه الدّعوة لها حضور وآمتداد في الفضاء الفكريّ

15) إقبال، محمّد : ديوان پـــيام مشرق (رسالة الشرق) – ترجمة عبد الوهاب عزّام – صدر ضمن : ديوان محمّد إقبال : الأعمال الكاملة – إعداد سيّد عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير، دمشق/بيروت، الطّبعة الأولى، 1423هـ/2003م، ج 1، ص 258.

16) المرجع نفسه، ج 1، ص 258.

17) المرجع نفسه، ج 1، ص 259.

الإسلاميّ، منذ أقدم العصور، حيث نسمع أصداء نداء المحبّة والإخاء في كافّة الأرجاء، بتأثير من القيم الإسلاميّة الّتي تخاطب الإنسانيّة قاطبة بلغة لا تمييز فيها ولا تفريق، خلافا لما اعتقده اليهود من آختصاصهم بأنّهم عيال الله دون سواهم، وكذلك ارتأت النّصارى، حتّى إذا جاء الإسلام، صدعت الحقيقة المحمّديّة بأنّ الخلق كلّهم عيال الله، وأنّهم من أمّ وأب واحد، ابتغاء توحيد كلمة الإنسانيّة للتّعاون على الخير، ونبذ الفرقة والغيريّة، بهدف تحقيق وحدة المسير والمصير.

ونظرا إلى أهمّية الاستدلال على تيّار الاتّحاد المعنويّ بين الشّرق والغرب، ذكر محمّد إقبال عديدا من الأمثلة في إطار توضيح هذا التّفاعل، منها قوله في خصوص تأثّر الشّاعر الألمانيّ، ذي الشّهرة العالميّة الواسعة، فريديريك روكرت *Friedrich Rückert* : "وأمّا روكرت فكان ماهرا في الألسنة الثلاثة : العربيّة، الفارسيّة، والسّنسكريتيّة. وكان لفلسفة الرّوميّ [18] مكانة عظيمة في رأيه. وتأثير مولى الرّوم فيما كتب من غزل كان أوضح، وكانت مصادره من الأشعار الشّرقيّة أوسع بما عرف من لغات الشّرق" [19]، ثمّ أضاف متحدّثا عن الشّاعر الألمانيّ هنري هاينا (1797م–1856م) *Heinrich Heine* : "ولم أرد أن أذكر في هذا الصّدد هاينا، معاصر جوته المشهور، إذ لم يكن في الجملة ذا صلة بالتأثير الشّرقيّ، ولم يهتمّ بما اقتبس شعراء ألمانيا من الشعر الشّرقيّ إلاّ ديوان جوته، على أنّ الشّعر العجميّ بيّن في مجموعته المسمّاة "الأشعار الجديدة"، وقد أجاد جدّا في نظم قصّة محمود [20]،

18) هو مولانا جلال الدّين البلخيّ، ونسبته إلى الرّوم خطأ تاريخيّ يجب تداركه.

19) المرجع نفسه، ج 1 ، ص 256.

20) السّلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي، ثالث سلاطين الدّولة الغزنويّة الّتي حكمت إيران بعد الدّولة السّامانيّة. وقد ولد محمود الغزنوي سنة 387هـ وتوفي سنة 421 هـ، ودامت مدّة حكمه ثلاثا وثلاثين سنة.. وقد أهدى إليه الحكيم أبو القاسم الفردوسي ملحمته الشعريّة الشّاهنامه، حسبما تذهب إليه بعض الرّوايات.

والفردوسي [21]، ولكنّ قلب هذا الشّاعر الألمانيّ الحرّ، لم يستطع الإفلات من شَرَك سحر العجم، حتّى لقد تصوّر نفسه مرّة شاعرا إيرانيّا أجلي إلى ألمانيا، يقول : يا فردوسي ! يا جامي ! [22] يا سعدي ! [23] إنّ أخاكم في سجن الغمّ، يخفق حنينا إلى أزهار شيراز" [24].

وتزدحم الشّواهد في هذا الخصوص، لنرى فريديريك شلـــگـــل (1772م–1829م) Friedrich Schlegel، يصرّح في مقدّمة ترجمته لجزء من كتاب الشّاهنامة للحكيم أبي القاسم الفردوسي : "يجب أن نسافر إلى شرق الأرض لنرتوي من معين الرّومنطيقيّة الحقيقيّة" [25]، ويضيف لودفيغ تيك (1773م–1853م) *Ludwig Tieck* "إنّه يجب طلب الرّومنطيقيّة في موطنها الأصليّ، ونبعها الّذي ينبعث منه صفاء الطّبيعة، والمجتمع الإنسانيّ الطّاهر

21) الحكيم أبو القاسم الفردوسي، شاعر الحماسة والملحمة القوميّة الإيرانيّة، ولد بمدينة طوس في محلّة تدعى "فاز" أو "پـاز"، وكانت ولادته سنة 329 هـ، وتوفي سنة 411هـ حسب بعض الأقوال.. وشرع في نظم حماسته الشّعريّة المشهورة بكتاب الشّاهنامة في الخامسة والثلاثين من عمره، وتشتمل هذه المنظومة على تخليد أمجاد ملوك الفرس، بأسلوب متين، وتتخلّل قصصه مطالب فلسفيّة وآجتماعيّة وأخلاقيّة رفيعة.. وقد استغرق نظم الشّاهنامة مدّة امتدّت من سنة 365هـ إلى سنة 400 هـ، أي خمسة وثلاثين عاما، وجاءت هذه المنظومة على وزن المتقارب، وهو البحر الّذي اختاره الشّعراء الفرس لنظم ملاحمهم الحماسيّة على آمتداد التّاريخ.. ويوجد قبر الفردوسي حاليّا بمدينة طوس الإيرانيّة.

22) نور الدّين عبد الرّحمن جامي، الشّاعر والمصنّف الإيرانيّ الشّهير، ولد في منطقة "جـام" بخراسان سنة 817هـ، وتوفي في هرات سنة 898هـ. انضمّ إلى الطريقة النّقشبنديّة، وحاز على آحترام أكابر عصره .. له ديوان أشعار يشتمل على قصائد وغزليّات ومرثيّات ومثنويّات ورباعيّات.. وله العديد من المصنفات النثريّة باللّغة الفارسيّة، من أشهرها : نفحات الأنس، وشواهد النبوّة، وغيرها.

23) مشرف الدّين، مصلح بن عبد الله الشيرازي، الشّهير بسعدي الشيرازي، شاعر إيرانيّ، له شهرة عالميّة، ولد سنة 585هـ بمدينة شيراز، وتوفي في مسقط رأسه حوالي سنة 694 هـ. له قصائد وغزليّات ورباعيّات، وقصائد عربيّة، وله قدرة لا نظير لها على نظم الغزليّات في غرض العشق.. من أشهر مصنفاته المنثورة كتاب الـگلستان (حديقة الورد).. ولأغلب آثاره ترجمات إلى اللّغات العالميّة، ومنها اللّغة العربيّة.

24) المرجع نفسه، ج 1، ص 256.

25) گـوته، يوهان ولفـگـانـگ : ديوان شرقي، ترجمه عن الألمانيّة إلى اللّغة الفارسيّة شجاع الدّين شفـا، نشر نسختين كتاباهاى ادبيّات كلاسيك، تهران، الطّبعة الثانية، 1381 هـجري شمسي/2002م، ص 30.. وقد ورد الشّاهد الّذي نقلناه أعلاه ضمن مقدّمة المترجم.

حيث تتنفّس الرّومنطيقيّة، وتشتاق إلى صفائه [26]، وأمّا الشّاعر والمفكّر نوفاليس (1772م–1801م) *Friedrich, baron Von Hardenberg Novalis*، فيرى أنّ الحكمة والفكر الرّصين يوجدان في الشّرق، دون سواه من المناطق" [27]، ومن الطّريف أن نضيف إلى سلسلة هذه المواقف الّتي عبّر من خلالها أصحابها عن اتّحادهم بالرّوح الشّرقيّة الصّافية، ما أقرّ به شيلر (1759م–1805م) Friedrich von Schiller من أنّ "ألمانيا العصر الجديد عثرت على هويّتها، وروحها وفنّها، في الشّرق والتّراث الشّرقيّ" [28].

ويمكن أن نذكر، في هذا السّياق، بعضا ممّا عبّر عنه الفيلسوف الألمانيّ هيجل (1770م–1830م) *Georg Wilhelm Friedrich Hegel* بقوله : "... وهذه السّعادة الباطنة، هي الّتي يتميّز بها الشّرقيّون، ولا سيّما الفرس المسلمون، الّذين يسلمون ذواتهم إلى الله، وإلى كلّ ما يستحقّ الحمد والثّناء بسرور وعن طيب خاطر، ولكنّهم مع هذا التّسليم يحافظون على جوهرهم الحرّ المستقلّ الّذي يحرصون أيضا في علاقتهم بالعالم المحيط بهم على صونه ورعايته" [29]، وربّما كانت هذه السّعادة المذكورة على لسان هيجل هي الّتي ألهمت الفقيدة العزيزة آن ماري شيمل (1922م–2003م) *Anne-Marie Schimmel* لتعبّر عن بعض المشاعر الّتي استقرّت في وجدانها على إثر زياراتها إلى بلاد الشّرق، بقولها : "لقد اكتسبت من زياراتي إلى البلدان الإسلاميّة كثيرا من التّجارب... إنّ تركيا وپاكستان بمثابة بلادي، ومع ذلك، فأنا سعيدة بتخصّصي في الأدب الألمانيّ.. إنّني أعتقد أنّ الاستفادة من مواطن الجمال في الثّقافات الأخرى، لم

---

26) المرجع نفسه، ص 31.

27) المرجع نفسه، ص 30.

28) المرجع نفسه، ص 116، وقد ورد هذا الشّاهد ضمن الهوامش الّتي أدرجها المترجم في آخر الكتاب.

29) مومزن، كاتارينا : جوته والعالم العربي، ترجمة عدنان عبّاس علي، سلسلة عالم المعرفة، العدد 194، تصدر عن المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب بالكويت، 1415هـ/1995م، ص 288.

يتسنّ لي إلاّ بعد معرفتي لثقّافة بلادي، وفي غير هذه الحالة، لم يكن بإمكاني المقارنة بين ثقّافتنا، ومواطن الجمال في الثّقافات الأخرى" [30]، وحذّرت السّيدة شيمل في هذا الإطار من خطورة مهاجمة ثقّافة الآخرين رغم الجهل بها، وعدم الاطّلاع على خصائصها، وهي تقصد الأجيال النّاشئة في أوروبا المعاصرة، ممّن لا علم لهم بواقع العلاقات الحضاريّة والثّقافيّة بين الشّرق والغرب، فأضافت قائلة : "عندما نرى في بلادنا أنّ تلاميذ المدارس وطلاّب الجامعات الألمانيّة لا علم لهم بوجود شخص مثل جوته، ذلك الشّاعر الكبير، رمز الوطنيّة الألمانيّة، تصبح معرفة الإسلام أيضا، إمّا معدومة كلّيا أو ضعيفة جدّا.. وهذا ما يحثّنا على مضاعفة جهودنا لتهيئة أرضيّة مناسبة حتّى تستنير أفكار الشّعوب في الغرب حول المسائل الّتي لها علاقة بالإسلام" [31].

ويقودنا ذكر الشّاعر الألمانيّ فولفـگـانـگ جوته (1749م–1832م) *Johann Wolfgaung von Goethe* من لدن السّيدة آن ماري شيمل إلى التّوقّف عند تصوّره للصّلة العضويّة والوحدة الأبديّة الّتي تجمع الغرب بالشّرق، وتصل الشّرق بالغرب، جمعا ووصلا، غير قابل للفصل والانفصال، فهو يقول في هذا الغرض :

"الغرب والشّرق على السّـــواء
يقدّمان إليك أشياء طاهرة للتّذوّق
فدع الأهواء، ودع القشـــــرة
وآجلس في مأدبة الحافلــــة :
وما ينبغي لك، ولا عابـــــرا
أن تنأى بجانبك عن هذا الطّعام

30) فندق آبادي، حسين – افسانه خوان عرفان، نـگـــاهي به انديشه، آثار وافكار پـــروفسور آنه مارى شيمل (قارئة قصّة العرفان : نظرة في فكر، آثار وآراء الـپـــروفسورة آن ماري شيمل) انتشارات مؤسّسة توسعه دانش وپـــژوهش ايران (نشر مؤسسة النّهوض بالمعرفة والبحوث الإيرانيّة)، تهران، الطّبعة الأولى، 1381 هجري شمسي/2002م، ص 31.

31) المرجع نفسه، ص 31.

***

من يعرف نفسه والآخرين
يعترف هنا أيضا أنّ :
الشّرق والغرب
لا يمكن بعد أن يفترقا
وبودّي أن أهدهد نفسي
سعيدا بين هذين العالمين،
وإذن، فالتّحرّك بين الشّرق والغرب
هو المسلك الأفضل"[32].

ثمّ دعا جوته إلى ضرورة القيام بسفر معنويّ، لا غنى عنه، إلى الرّبوع الشّرقيّة ابتغاء تحقيق "امتزاج قويّ بين روح وروح، وبين دم ودم"[33]، فقال :

"*من يرد أن يفهم الشّاعر*
فليرحل إلى ديار الشّاعر
وليستطب العيش في الشّرق
حتّى يكون القديم هو الجديد" [34].

وتتواصل الأسفار الرّوحانيّة الرّائعة من الغرب إلى الغرب، لفكر مبدؤه في الشّرق ومستقرّه في الغرب، ولن يكون هذا السّفر الرّوحانيّ الجديد سوى سفر مجازيّ، له قيمة إنسانيّة رمزيّة، وتجلّى ذلك من خلال إهداء الشّاعر الألمانيّ الفذّ، كتابه "الدّيوان الشّرقيّ للمؤلّف الغربيّ" إلى المستشرق الفرنسي

32) جوته : الدّيوان الشّرقي للمؤلّف الغربيّ، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ص 338-339.
33) المرجع نفسه، ص 5 .. وقد ورد الشّاهد المذكور أعلاه ضمن مقدّمة عبد الرّحمن بدوي لديوان" الدّيوان الشّرقي للمؤلّف الغربيّ" .
34) المرجع نفسه، ص 502.

الكبير سيلويستر دي ساسي (1758م–1838م) *Antoine Issac Silverstre De Sacy* ومخاطبته بقوله :

"يا أيّها الكتـــــاب سر إلى سيّدنا الأعـــــــز

فسلّـــــم عليـــــــــه بهذه الورقـــــــــة

الّتي هي أوّل الكتـــــاب وآخـــــــــره

يعني أوّله في المشرق وآخره في المغرب"[35].

3. رحلـــة العرفـــان عبر الزّمـــان والمكـــان :

لا يجب أن يقف بنا الفهم لعبارة "من يرد أن يفهم الشّاعر، فليرحل إلى ديار الشّاعر"، عند المعنى الظّاهر والقريب، لأنّ الواقع يفصح عن وجود أكثر من أديب ومفكّر وشاعر تنطبق عليهم هذه العبارة، ويشترك جميعهم في الالتزام بالنّزعة الإنسانيّة والكونيّة، دون قيود أو إقصاء، ونشر قيم الوئام والسّلام في الثّقافة الإنسانيّة قولا وعملا، وذلك عبر الإبحار في وديان العشق والمحبّة، إذ العشق إكسير الحياة وكيمياء الأرواح وماء الوجود، ومرهم أسباب التّزاحم والتّخاصم، وموجب دواعي الأمل والسّعادة، وهو أقدس وسيلة لإيصال البشر إلى مراتب الكمال، وتمكينهم من الشعور والإحساس بالجمال، ولا جدال في أنّ أبرز الممثّلين لهذه النّزعة الإنسانيّة من بين الشّعراء النّاطقين باللّغة الفارسيّة، عمر الخيّام (455هـ – 517هـ)، والحكيم أبو القاسم الفردوسي (329هـ – 411هـ)، ومصلح الدّين سعدي الشّيرازي (585هـ – 694هـ)، ومن الطّريف أن يكون جلال الدّين البلخيّ من بين آخر الشّعراء الفرس الّذين سجّلوا حضورهم في الغرب، ولكنّه استولى على اهتمام أهل الفنّ والأدب، والدّين والفلسفة، والثّقافة والحضارة، في هذه الرّبوع، حتّى انعقد الإجماع بين الباحثين

35) المرجع نفسه، ص 531.

والدّارسين على أنّ روحه وأنفاسه، قد تجاوزت حدود الزّمان والمكان، لأنّه عاش حياة وهبها للإنسانيّة محبّة بلا حدّ، وعطاء بلا عدّ...

وقد ولد جلال الدّين في مدينة بلخ من إقليم خراسان في السّادس من ربيع الأوّل سنة 604 هـ/الثّلاثين من سبتمبر 1207م، واستقرّ فترة طويلة من حياته بمدينة قونيّة الّتي تقع في أرض الرّوم بالأناضول (36) حيث وافته المنيّة في خامس يوم من جمادى الآخرة سنة 673هـ/السّابع عشر من شهر ديسمبر 1273م.

ولجلال الدّين مجموعة من الآثار الخالدة، أهمّها المثنوي المعنويّ الشّريف، المشهور بقرآن العجم، وذلك لشدّة تأثّره بالقرآن الكريم، وله أيضا الدّيوان الكبير الموسوم بديوان شمس التّبريزي أو بغزليّات شمس، وقد نظمه المولويّ تخليدا وتمجيدا لذكرى شيخه ومرشده شمس الدّين التّبريزي.

وليس من باب المبالغة اعتبار المحقّقين للمثنوي بحرا معنويّا، ومعراجا سماويّا تتجلّى فيه خلاصة عقائد الموحّدين، وعصارة الأفكار الّتي تعبّر عن الهويّة الحقيقيّة للعرفان الإيرانيّ والتّصوّف الإسلاميّ والفكر الإنسانيّ، وقد عبّرت المستشرقة الألمانيّة آن ماري شيمل عن هذا المعنى بقولها : "يعتقد المتصوّفون والكثير من العلماء، بأن التّصوّف يشكّل جسرا روحانيّا بين الأديان والحضارات، ولعلّه الجريان الّذي يجري تحت سطح الأديان الظّاهرة، وأنّه الطّريق السّري من قلب الإنسان إلى المعشوق الأبديّ الأزليّ" (37).

36) تركيا حاليّا.

37) شيمل آن ماري : التّصوّف كجسر بين الأديان والحضارات، محاضرة ألقيت في مؤسّسة بيت الحكمة بتونس، وصدرت ضمن كتاب : الواقع الدّينيّ اليوم، فعاليّات الدّورة الثّالثة لملتقيات قرطاج الدّوليّة، المجتمع التونسي للعلوم والآداب والفنون "بيت الحكمة"، تونس، الطّبعة الأولى، 2000م، ص 82.

وقد نظم جلال الدّين كتاب المثنويّ في ستّة دفاتر، تتضمّن حوالي ستّة وعشرين ألف بيت، ومائتين وخمس وستّين حكاية، وأكثر من ألف آية، وسبعمائة وخمسة وأربعين حديثا شريفا تجاوزت حدود اللّغة والمكان، وقيود المحيط والزّمان، ومعتقدات المذاهب والأديان، وتعصّب الأجناس والأقوام، وحتميّة الجغرافيا والتّاريخ، وقد وصف جلال الدّين كتاب المثنوي بقوله : "مثنويّـــنا هو المحبوب المعنويّ الّذي لا نظير له في الجمال والكمال، كذلك هو بستان مهيّأ، وشجرة مهنّأة، صنعت من أجل مجلوّي القلوب، أصحاب النّظر العشّاق، المحترقي الأكباد، فما أسعد الرّوح الّذي يغدو محظوظا بمشاهدة حسناء الغيب هذه، ويغدو ملحوظ رجال الله لكي يدوّن في دفتر [نعم العبد إنّه أوّاب [38]". [39]

ومن المناسب أن نذكر في هذا السّياق الشّهادة المؤثّرة الّتي أدلى بها الشّاعر الألماني ّ جوته عندما رأى أحد الإيرانيّين يوقّر كتاب المثنويّ المعنويّ الشّريف : "ويبدو هكذا أنّ هذا الاستمرار كانت نتيجته أنّه منذ ثمانمائة سنة، ظلّ الفرس يحبّون أشعارهم، ويقدّرونها، ونحن شاهدنا بأنفسنا كيف أنّ شرقيّا وقّر، وعامل مخطوطا قديما من المثنوي جلال الدّين الرّوميّ بنفس الاحترام، كما لو كان القرآن" [40].

وأمّا ديوان غزليّات شمس تبريزي، فقد أوصل المتقدّمون عدد أبياته إلى ثلاثين ألف بيت، بل ذهب إبراهيم الدّسوقي شتا (1943م-1998م) إلى أنّ هذا الدّيوان يشتمل على حوالي ستّين ألف بيت من الشّعر، وذلك ضمن الدّيباجة

38) ص : 30 و44.

39) فروزانفر، بديع الزّمان، من بلخ إلى قونيّة : سيرة حياة مولانا جلال الدّين الرّومي، ترجمه عن الفارسيّة عيسى علي ألعـــاكوب، دار الفكر، دمشق، الطّبعة الأولى، 1427هـــ/2006م، ص 249.

40) جوته : الدّيوان الشّرقي للمؤلّف الغربيّ، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ص 421.. وأنظر أيضا مومزن، كاتارينا : جوته والعالم العربي، ترجمة عدنان عبّاس علي، ص 334.

الّتي قدّم بها الجزء الثّاني من ترجمته لـــ "مختارات من ديوان شمس الدّين التّبريزي"، فقال : "ديوان شمس الدّين التّبريزي أو الدّيوان الكبير لشاعر الصّوفيّة الأكبر جلال الدّين الرّوميّ، يسمّى أيضا ديوان العشق... فعلى سعة هذا الدّيوان الّذي يحتوي على حوالي ستّين ألف بيت شعر... سواء كانت غزلا أو رباعيّا أو قصيدة لا يتناول إلاّ موضوعا واحدا... العشق بكلّ أحواله وصروحه... العشق الحافل بالوجد والجنون والموسيقى، والفكر السّامي الرّاقي" (41).

ولا بأس من الإشارة بعجالة إلى بقيّة آثار جلال الدّين، وهي "المجالس السّبعة" في موضوع الوعظ والتّذكير بوجوب تحصيل الزّاد النّافع في المعاش والمعاش والمعاد، ومجموعة "الرّباعيّات" وهي عبارة عن 1659 رباعيّة في 3318 بيتا من الشّعر، وفيها مضامين راقية ومعان عالية، وكتاب "فيه ما فيه"، وهو مجموعة من التّقريرات والحكايات، علما أنّ جميع هذه المصنّفات باللّغة الفارسيّة، وقد ترجمت كلّها إلى اللّغات العالميّة.

4. شاعريّـــة جـلال الدّيـن البلخيّ :

تدفّقت شاعريّة جلال الدّين البلخيّ وعبقريّته الّتي خلّدت لنا هذا التّراث الإنسانيّ، وهو في سنّ شارفت على الأربعين حولا، بتأثير الإرشاد الرّوحيّ الّذي تلقّاه على يدي شيخه ومراده شمس الدّين تبريزي إذ لم يكن له قبل ذلك أيّ صلة بالشّعر، ولكن سرت في روحه لوعة العشق والوجد، وأصبح ناظما للشّعر صباح مساء، مترنّما بالغزليّات المعنويّة والأناشيد الرّوحانيّة، وقد وردت الإشارة إلى هذا التّحوّل العميق في الكثير من أشعار جلال الدّين البلخيّ، ومن ذلك قوله في الرّباعيّة رقم 1716 :

41) شتا، إبراهيم الدّسوقي، مختارات من ديوان شمس الدّين التّبريزي لمولانا جلال الدّين الرّومي، نشر المجلس الأعلى للثّقافة، مصر، طبع بالهيئة العامّة للشّؤون الأميريّة، الطّبعة الأولى، 2000م، ج 2، ص 3.

كنت زاهـــــدا فأصبحـــت منشــــــدا
وصرت إماما في حلقة الرّقـــص والطّــرب
وكنـــت ملازما للسّجــــادة بوقــــــار
فغدوت لعبة في الزّقاق، بـيد الصّبيان الصّغار.

وهكذا صار جلال الدّين البلخيّ بفضل تعليم مرشده شمس الدّين التّبريزيّ مصباحا روحانيّا أضاءت أنواره في القرن السّابع من الهجرة/الثّالث عشر من الميلاد، واستمرّت خالدة تعين السّالكين، وتهدي الباحثين، وانتشر أريج عطره من تدفّق المياه المعنويّة الّتي كانت تجري تحت أنهار كوثر الحياة والوجود، في أعماق أرض خراسان من أقاليم إيران، لإحياء الرّوح الإنسانيّة بعبقها الّذي بلغ مشامّ جميع الخلق، في الشّرق والغرب، ولم يزدد إلاّ سعة ونفوذا، وانتشارا في كلّ مكان، كلّما دارت عجلة الزّمان، ويعود سبب هذا الحضور إلى تحريك العواطف والنّفاذ إلى مخاطبة المشاعر بواسطة اللّغة الشّعريّة الّتي يعتقد هــــردر (1744م–1803م) *Johann Gottfried Herder* أنّها "اللّغة الأمّ للإنسانيّة قاطبة" [42]، ثم اكتشف فريدريك روكرت (1788م–1866م) *Friedrich* Rückert أنّ "السّلام العالميّ لا يتحقّق إلاّ بواسطة الشّعر العالميّ" [43]، وتبدو آن ماري شيمل من أشدّ المتحمّسين لهذا الاتّجاه، إذ ترى

42) شيمل، آن ماري : ديوان غربي، شرقي : تأثير شعر فارسى در شرق وغرب (الدّيوان الغربي الشرقي : أثر الشّعر الفارسي في الشرق والغرب)، ضمن كتاب : حضور ايرانيان در جهان اسلام (حضور الإيرانيّين في العالم الإسلاميّ)، تأليف ريشار هوفانيسيان وجورج صباغ، ترجمه عن اللغة الأنجليزيّة إلى الفارسيّة فريدون بدره إي، نشر مركز بازشناسى اسلام وايران (مركز تجديد المعرفة بالإسلام وإيران)، تهران، الطّبعة الأولى، 1381هــجري شمسي/2002م، ص 216، وعنوان الكتاب باللغة الأنجليزيّة هو : Hovannisian, Richard G- The Persian Presence in the Islamic world – Giorgio Levi Della Vida Conferences (13 th : 1991 : university of. California, Los Angeles)

43) شيمل آن ماري : شعر شرق وامكان ترجمه آن (شعر الشّرق ومدى آستجابته للتّرجمة)، ضمن كتاب : عرفان پـلي ميان فرهنـگـها – بزرگـداشت پـروفسور آنه مارى شيمل، (العرفان بآعتباره جسرا بين الثّقافات : تكريما للــ پـروفسور آنه مارى شيمل)، مؤسّسه تحقيقات وتوسعه علوم انسانى (مؤسّسة الدّراسات ونشر العلوم الإنسانيّة)، تهران، الطّبعة الأولى، 1383هــ جري شمسي/2004م، ج 2، ص 479.

"أنّ الشّعر لغة أزليّة تتلى في الفردوس، ونغمة أبديّة أنشدها الإنسان من فيض عواطفه.. إنّ معرفة شعر أمّة من الأمم بمثابة إدراك لروح تلك الأمّة.. ولا يوجد أوثق من رسالة الشّعراء لبناء أسس المحبّة والوئام، والتّفاهم بين الشّعوب والأقوام.. إنّ لغة الشّعر وخطاب الدّعاء أكثر جدوى من المسائل النّظريّة الّتي يثيرها المتكلّمون حول قضايا أصول الدّين، إذ بهما معا، يمكن أن نشقّ طريقا آمنة للحوار بين العالم المسيحيّ والعالم الإسلاميّ" (44).

5. حضور جلال الدّين البلخيّ في عصر الحداثة وما بعد الحداثة :

لم تنقطع صلة جلال الدّين بعالم الوجود، بل ظلّ فكره مؤثّرا في المجتمعات البشريّة، في زمن موسوم بعصر الحداثة، وسيطرة العولمة الّتي كسرت الحدود الجغرافيّة والتّاريخيّة، فأزالت حواجز الزّمان والمكان، ليصير العالم بأجمعه تحت راية واحدة، تشكّلت معالمها المادّية بنسق متسارع، ثمّ حصلت حركة هادئة أحيانا، وسريعة أحيانا أخرى، في اتّجاه ما أصبح معروفا بعصر ما بعد الحداثة، فبدأت الإنسانيّة تتخلّى عن جفاف المادّية العميقة، والتّحوّل إلى الأخذ بالقيم المعنويّة والرّوحيّة الّتي كانت نبراسا للإنسان في بحثه عن الاستقرار، وسعيه إلى توفير فرص الحياة السّعيدة، حتّى تطمئنّ القلوب وتعانق الأمل المسلوب، بعد تجارب حربين عالميّتين كان لهما شديد الأثر على تطلّعات الأجيال اللاّحقة الّتي عاشت بعد الحرب وجعلت من أهمّ أولويّاتها العمل على تأمين قيمة الحياة، وتوفير مصادر الاقتصاد ..

ثمّ حكم تطوّر الزّمان على قطاع كبير من الأجيال الجديدة بإعادة النّظر في أولويّات الحياة، فصار البحث عن معنى للوجود، وسبل تحقيق السّعادة لما هو موجود، بعيدا عن الضغوط المادّية من أهمّ ما يسعى إليه إنسان ما بعد الحداثة، فلم تعد الأولويّة لقيم الرّفاهيّة والوجاهة والرّاحة المادّية الّتي بشّر بها

44) خندق آبادي، حسين: افسانة خوان عرفان، نــگــاهــي به انديشه، آثار وافكار پــروفسور آنه ماري شيمل، ص 43-44.

عصر الحداثة الصّناعيّة، بل صار نضال الإنسان من أجل المحافظة على البيئة والمحيط، والقيم الفكريّة والإنسانيّة الّتي ترتقي بالحياة، واتّجهت البشريّة إلى البحث عن حلّ لأسرار الكون بشكل عميق ودقيق، فوجدت ضالّتها في العرفان والتّصوّف الّذي طاب مغرسه في شرق العالم الإسلامي ومغربه، وأضاءت أنواره في آفاق الغرب المسيحيّ، وتعود آن ماري شيمل لتؤكّد ما ذهبنا إلى عرضه بقولها : "إنّ العالم الغربيّ الّذي وصل إلى أقصى درجات التّقدّم العلميّ والتكنولوجيّ يشعر الآن، وأكثر من أيّ وقت مضى، بالأخطار الّتي تتهدّده. وهو يبحث الآن عن مخرج. هذا هو جوهر الأزمة في نظري. لابدّ من العودة إلى القيم الرّوحيّة، وإلاّ فإنّ النّهاية ستكون فظيعة. صحيح أنّ الإنسان بحاجة إلى التّقدّم التكنولوجيّ والعلميّ، لكن لا يجب أن يتمّ هذا على حساب القيم الإنسانيّة والرّوحيّة. أنت تقول إن العالم الغربيّ يعاني من أزمات كثيرة. هذا صحيح. ولكن إذا ما نظرت حولك، فسترى أنّ الأزمة عميقة في كلّ مكان" [45]، وفي الإجابة عن سؤال "في رأيك، هل يمكن أن تساعدنا كتابات جلال الدّين الرّومي مثلا على إدراك الصّراع بين العالم المادّي والعالم الرّوحيّ ؟"، قالت السّيدة شيمل بلهجة واثقة : "هذا أكيد، أنت تعلم أنّ مولانا جلال الدّين الرّوميّ عاش في زمن صعب، اشتدّ فيه التّناحر والقتال بين النّاس. وكانت الأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسّياسيّة على أسوإ حال. إنّه الزّمن الّذي داهم فيه المغول المراكز الحضاريّة في المناطق العربيّة الإسلاميّة، وحطّموها، وعاثوا فيها فسادا. ومثلما يقول جلال الدّين الرّوميّ : "كلّ النّاس يهابون المغول. غير أنّنا نعبد الله الّذي خلق المغول !"، فإنّ هناك دائما قوّة قادرة على أن تتغلّب على قوى القهر والظّلم والفساد، والحرب والتّحطيم. وهذه القوّة هيّ القوّة الرّوحيّة، تلك الّتي تنبع من أعماق الإنسان، وتجعله قادرا على تحمّل الشّدائد، وعلى المحافظة على الحياة. ونحن نعيش الآن زمنا صعبا

45) فكر وفنّ تحاور المستشرقة الألمانيّة أنّا ماري شيمل، مجلّة فكر وفنّ، العدد 44، العام 23، 1986م، ص 75.

تكاثرت فيه قوى الحقد، والظّلم، وأصبحت فيه مهدّدة تهديدا حقيقيّا، ولذا، فإنّه من واجبنا البحث عن عناصر الخلاص. وأعتقد أنّ أقوال وكتابات جلال الدّين الرّوميّ، قادرة أن ترشدنا إلى سبيل الخلاص، وأن تهدينا إلى ينابيع الحقيقة. إنّ التّاريخ يعلّمنا حقيقة بسيطة، وهي أنّنا قادرون على أن نتجاوز المصاعب والكوارث، إذا ما نحن تعلّقنا بالمبادئ الرّوحيّة والإنسانيّة. غير أنّ أغلب النّاس تناسوا الآن مع الأسف الشّديد مثل هذه الحقيقة البسيطة، وهذا شيء خطير" [46].

إنّ الاعتراف بالأزمة العالميّة العميقة أمر واقع وثابت، والحلّ الّذي تقترحه المرحومة آن ماري شيمل هو اعتقادها بأنّ أقوال جلال الدّين البلخيّ وكتاباته قادرة أن ترشد الإنسان المعاصر في الشّرق والغرب إلى الخلاص، ونودّ أن نستعرض هنا بعض المسائل الأساسيّة الّتي تبرهن على حضور جلال الدّين البلخيّ في العصر الحديث، عصر العولمة والحداثة، وما بعد الحداثة، وذلك قبل أن نتطرّق إلى ذكر البراهين والأدلّة على هذا الحضور من خلال السّيرة العلميّة المباشرة لجلال الدّين، مع معاصريه من المسلمين وغير المسلمين، والكيفيّة الّتي تجلّت بها تلك السّيرة في تعاليمه ومواقفه..

فقد كان لظهور الرّومنطيقيّة والرّمزيّة والسّورياليّة في الآداب الأوروبيّة دور أساسيّ في توجيه الحركة الفكريّة والأدبيّة بهذه القارّة نحو الاهتمام بالأدب الفارسي عامّة، وبالعالم المعنويّ لجلال الدّين المولويّ بشكل أخصّ، وذلك بسبب ما تميّز به أدبه من حداثة وتجدّد يتمثّلان في خطابه وفكره المنفتحين على الزّمان والمكان، بحلاوة وطعم يثير السّعادة والبهجة وعمق في المعارف الإلاهيّة والقيم الرّوحيّة الّتي لا تنضب أبدا، لأنّها تنهل من الوحي القرآنيّ إلى جانب الهدي النّبويّ، مع الانفتاح الإيجابيّ على مشتركات الأديان الكامنة في

46) المرجع نفسه، ص 75.

التّوراة والإنجيل الّلذين وصفهما الذّكر الحكيم بقوله تعالى : ﴿ **إنّا أنزلنا التّوراة فيها هدى ونور**﴾ (47)، وقوله تعالى : ﴿ **وقفّينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدّقا لما بين يديه من التّوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور** ﴾ (48)، فمن هذه الأنوار مجتمعة : النّور الإلهيّ ﴿ **الله نور السّماوات والأرض** ﴾ (49)، والنّور المحمّديّ ﴿ **يا أيّها النّبيّ إنّا أرسلناك شاهدا ومبشّرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا** ﴾ (50)، ونور القرآن ﴿ **فآمنوا بالله ورسوله والنّور الّذي أنزلنا** ﴾ (51)، ينساب الإرشاد إلى سبل الهداية والرّشاد، والطمأنينة والإسعاد، والعشق لقيم المحبّة والخير باعتبارها من اللّطائف الإلاهيّة والأسرار الرّوحانيّة الكامنة وراء خلود جلال الدّين البلخيّ في زمن العولمة وعصر الحداثة.

ذلك أنّ العشق خاصّية معنويّة لا تعترف بمقولة الزّمان والمكان، ولا تتعصّب لجنس أو دين، ولا يستأثر بها لون أو ملّة أو قوم، ولا غرابة في خلود من يعبّر عن العشق والحسن الأزليّ، إذ "لا موت لمن أحيا قلبه بنور العشق" بحسب عبارة جلال الدّين البلخيّ نفسه.

ومهما كان حجم القيم والمبادىء الّتي فقدتها الإنسانيّة في العصر الحاضر، فإنّه يمكن اعتبار أدب جلال الدّين بمثابة النّداء ليعود الإنسان إلى الفطرة الّتي توقظ طاقات الخير الكامنة فيه ليتحرّر من سجن الصّور والألوان، ويعود إلى بحر المعاني في سفره الرّوحاني، فمثل جلال الدّين في هذا المضمار كمثل المعالج النّفسانيّ والموقظ للأحاسيس، والمزلزل للضّمائر الّتي تبحث عن تحقيق الآمال بالعودة إلى الذّات وكشف كوامنها الباطنة، وإذا كان إنسان اليوم

---

47) المائدة : 44.

48) المائدة : 46.

49) النّور : 35.

50) الأحزاب : 46.

51) غافر : 51.

يواجه أزمات وجوديّة ومعنويّة، وصدمات نفسانيّة وحضاريّة، لم ينفكّ عن البحث لها عن حلول في دهاليز الفلسفات الأرضيّة والنّظريّات التجريديّة، فإنّ حضور جلال الدّين اليوم كشف عن حقائق الوجود، وأسرار الخلود، بأسلوب علميّ وأخلاقيّ، ومنهج إنسانيّ وعرفانيّ، بلغة مباشرة، تمسّ ظاهر الإنسان وباطنه في توجيهه إلى سبيل الحقّ والصّلاح، وتحذيره من مضائق الباطل والفساد، ونبذ التّعصّب والعنصريّة، والقوميّة الضّيّقة والمذهبيّة المتحجّرة والأفكار الجامدة، والاستقواء على الضّعفاء بمختلف وسائل الظّلم والعنف.

6. التّصريح بالنّســب الصّريــح :

أثارت نسبة جلال الدّين جدلا بين الباحثين الّذين يصرّ أغلبهم على نسبته إلى الرّوم، رغم أنّه ينسب نفسه في مطلع المثنوي المعنويّ إلى مدينة بلخ من مقاطعة خراسان، وذلك بقوله في لغة عربيّة واضحة صريحة "يقول العبد الضّعيف المحتاج إلى رحمة الله تعالى، محمّد بن محمّد بن الحسين البلخيّ، تقبّل الله منه، اجتهدت في تطويل المنظوم المثنوي المشتمل على الغرائب والنّوادر، وغرر المقالات ودرر الدّلالات، وطريقة الزّهاد، وحديقة العبّاد، قصيرة المباني، كثيرة المعاني..." [52]، وأعلن الباحث التّركيّ عبد الباقي گولپينارلي (1317هـ/1899م–1402هـ/1982م) *Abd al – băqĭ* Gŭlpin *ă rlĭ* عن وجود نقيشة في المستطيل العموديّ الأسفل من قبر مولانا في مدينة قونيــة، هذا نصّها : "قطب العالمين، محيي نفوس العالمين، جلال الحقّ والملّة والدّين، وارث الأنبياء والمرسلين، خاتم الأولياء المكمّلين، ذي المراتب والمنازل العالية، والمناقب والفضائل السّنيّة، محمّد بن محمّد بن الحسين البلخيّ

52) مولانا جلال الدّين محمّد بلخي : مثنوى معنوى (المثنوي المعنوي)، تحقيق قوام الدّين خرّمشاهي، انتشارات ناهيد، تهران، الطّبعة الأولى، 1375 هجري شمسي/1996م، ص 17.

عليه تحيّة الرحمن وسلامه" [53]، وبهذا يتّضح أنّ جلال الدّين بلخيّ من المولد إلى الوفاة، وبقيت هذه النّسبة دارجة في المصنّفات، ودوائر الأعلام ودوائر المعارف والموسوعات، حتّى وقع تحريفها من قبل الدّارسين الأوروبّيين منذ حوالي قرن واحد من الزّمان، وقد أشار الباحث الأمريكي فـــرانكلين ديـــن لـــويس (1961 م -) *Franklin D. lewis* إلى هذه المسألة : "لقب الرّوميّ الّذي اشتهر به مولانا في الغرب، منسوب إلى المكان الّذي عاش فيه، ويقع في الأناضول، وهو اليوم جزء من تركيا، وكان يطلق عليه في المصطلح الإسلاميّ في ذلك الزّمان الرّوم، ويسمّى سكّانه أهل الرّوم" [54]، ويمضي فـــرانكلين ديـــن لويس في إثبات النّسبة إلى مدينة بلخ، وذلك من خلال نقله للدّيباجة الّتي استهلّ بها جلال الدّين كتاب المثنويّ [55]، ونحن نرى أنّ النّسبة إلى الرّوم مقصودة من لدن المستشرقين، فهي نسبة أليفة إلى قلوبهم، وربّما تكون نسبة الرّوميّ عندهم أيسر لهم في النّطق والتّلفّظ من قولهم البلخيّ، نسبة إلى مسقط رأس مولانا، أو القونويّ حيث مرقده البرزخيّ.

وقد انتشر استعمال نسبة الرّوميّ بشكل واسع منذ أن قام المستشرق الأنجليزي نيكلسون (1868م-1945م) *Reynold Alleyene Nicholson* بتحقيق كتاب المثنويّ لأوّل مرّة في التّاريخ تحقيقا علميّا في ستّة مجلّدات استغرقت

53) گولْـــپينارلي، عبد الباقي – مولانا جلال الدّين : زندگـــانى، فلسفه، آثار وگـــزيده اى از آنها (مولانا جلال الدّين : حياته، فلسفته، آثاره، ومنتخبات منها)، ترجمه عن اللّغة التّركيّة إلى الفارسيّة توفيق هاشم پـــور سبحاني – پـــژوهشـــگـــاه علوم انسانى ومطالعات فرهنـــگـــى (مركز بحوث العلوم الإنسانيّة والدّراسات الثّقافيّة)، تهران، الطّبعة الثّالثة، 1375 هجري شمسي/1996م، ص 233.

54) لويس، فرانكلين دين – مولانا : ديروزتا امروز، شرق تا غرب (مولانا : ماضيا وحاضرا، شرقا وغربا)، ترجمه من اللّغة الأنجليزيّة إلى الفارسيّة حسن لاهوتي، نشر مؤسّسة نامَكْ (ومعنى هذه الكلمة في اللغة الـــپـــهلويّة – الفارسيّة الوسيطة- الكتاب والرّسالة)، تهران، الطّبعة الثّانية، 1385 هجري شمسي/2005م، ص 16. وعنوان الكتاب باللّغة الأنجليزيّة : Lewis, Franklin Dean- Rumi : Past and Present, East and West : The Life, Teaching and Poetry of Jalal al-Din Rumi, 2000.

55) المرجع نفسه، ص 17.

خمسة عشرة سنة من عمره (من 1925م إلى 1940م)، وأطلق عليه عنوان "المثنوي المعنوي للمولوي جلال الدّين الرّوميّ"، فحلّت نسبة "الرّوميّ" محلّ النّسبة القديمة، وهي "البلخيّ"، ولم تسلم إيران من هذه العدوى، بعد أن تلقّت هذا العمل الكبير، وأصبح المثنويّ يطبع في المطابع الإيرانيّة بالأوفست، دون أن ينتبه أحد إلى هذه القضيّة المباينة كلّيا لحقائق التّاريخ والواقع.

وقد أحدثت نسبة جلال الدّين إلى الرّوم شرخا خطيرا وجدلا عميقا بين عدد من البلدان الإسلاميّة، ادّعت جميعا استحقاق انتساب هذا العارف الجليل إليها، ومن بين هذه البلدان إيران الّتي يؤكّد علماؤها ومؤرّخوها أنّ مدينة بلخ كانت تقع في منطقة خراسان بدليل الشّواهد الجغرافيّة والتّاريخيّة الّتي لا تقبل التّشكيك والنّكران، ثمّ انضمّت أفغانستان منذ حوالي عقد من الزّمان إلى المنادين بتأميم مولانا جلال الدّين ، بحكم ولادته في مدينة بلخ، وهي اليوم من الأقاليم الأفغانيّة، علما بأنّ أفغانستان نفسها لم يكن لها اسم ولا رسم في العصر الّذي عاش فيه المولويّ، إذ لم يظهر اسم أفغانستان رسميّا إلاّ بعد انفصالها عن إيران في سنة 1857م بموجب الاتّفاقيّة الّتي وقّعتها في باريس، وتنازلت فيها عن كلّ حقوقها في أفغانستان تحت الضّغوط والتّهديدات البريطانيّة [56].

وآدّعت طاجيكستان أخيرا هذا الاستحقاق أيضا، ولم تغب مصر عن قافلة المنادين بحقّهم المعنويّ في انتساب جلال الدّين إليهم، فطلبت من منظّمة اليونسكو تسجيل احتفالات المائويّة الثّامنة على رحيل جلال الدّين بآسمها، وذلك بذريعة احتضان القاهرة لأوّل طبعة لشرح المثنويّ المعنويّ باللّغة التّركيّة في ستّة مجلّدات سنة 1835م، لكنّ الغرور القوميّ لم يبلغ مداه إلى أقصاه إلاّ مع الأتراك الّذين بالغوا في الاستئثار بآنتساب كلّ ما له صلة بالمولويّ جلال الدّين إليهم، وقد أفرد فرانكلين دين لويس في كتابه "الرّوميّ : الماضي والحاضر،

---

56) ولبر، دونالد – إيران، ماضيها وحاضرها، ترجمة عبد النّعيم محمّد حسنين، دار الكتاب المصري، القاهرة، الطّبعة الثانية، 1405 هـ/1990م، ص 97-98.

الشّرق والغرب" عنوانا لهذا الموضوع أطلق عليه : "اللّغة التّركيّة والتّعصّب القوميّ"، وقد استعرض فيه "محاولة الأتراك تتريك بعض الأعلام الفارسيّة من قبيل الإمام الغزّاليّ وجلال الدّين الرّوميّ" [57]، وذكر عنوان الكتاب الّذي اعتمد عليه في عرضه، وهو :

Conception sur la vie de quelques philosophes turcs : Gazzali, Celaleddin, Yunus Emre, Kinalioğlu, Ali Efendi (Izmir : Bilgi, 1993).

وذكر فرانكلين دين لويس عددا من الأمثلة الّتي تحكي عن مساعي الأتراك في هذا المضمار، نقتصر بدورنا على ذكر مثال واحد منها، وهو كتاب "مولانا جلال الدّين الرّوميّ" من تأليف محمّد ئوندر *Mehmet Őnder* الّذي حظي بمنصب رئيس متحف مولانا لمدّة من الزّمن، وقد نشرت وزارة الثّقافة التّركيّة هذا الكتاب المخصّص للدّعاية السّياحيّة سنة 1986م، ثمّ قام پــي.ام. باتلر P.M. Butler بترجمته عن اللّغة التّركيّة إلى اللّغة الأنجليزيّة تحت عنوان : *Mevlana Jelaleddin Rumi (Ankara, Ministry of culture, 1990)* .

وعدّد فرانكلين دين لويس كثيرا من عيوب هذا الكتاب، فيما يلي ملخّصها : "هذا الكتاب يحمل في طيّاته دليلا على الجهل المركّب، أو أنّه يكشف السّتار عن مخطّط يهدف إلى إحكام نزعة التّعصّب القومي.. إنّ محمّد ئوندر يقدّم مولانا في مقدّم هذا الكتاب على أنّه "الصّوفيّ التّركيّ الكبير" و"المفكّر التّركيّ الكبير"، إلى أن بلغ به الأمر إلى آعتبار مولانا بمثابة "النبيّ التّركيّ"، وهو "الهديّة الخالدة الّتي أهداها الشّعب التّركيّ إلى البشريّة قاطبة"، ولم يذكر أبدا أنّ جلال الدّين صنّف المثنوي باللّغة الفارسيّة، بل ذكر تلميحا أنّ القرآن نزل باللّغة التّركيّة أيضا !!، كما حرص على تأكيد أنّ جميع مصنّفات مولانا كانت باللّغة التّركيّة، وأنّ اللّغة التّركيّة كانت لغته الأمّ بلا أدنى شكّ

57) لويس، فرانكلين دين – مولانا : ديروزتا امروز، شرق تاغرب، ص 707.

أو تردّد..." [58]، ويضيف فرانكلين دين لويس في معرض ردّه على محمّد ئوندر : "إنّ الاستفادة من علم الإحصاء تنبؤنا أنّه من بين خمسة وثلاثين ألف بيت من الشّعر في ديوان شمس التّبريزيّ، لا يوجد سوى ثلاثين أو أربعين بيتا باللّغة التّركيّة، على أقصى تقدير، وأمّا بقيّة الغزليّات الواردة في هذا الدّيوان، فهي كلّها باللّغة الفارسيّة" [59].

ولا بأس من الإشارة في هذا السّياق إلى "أنّ النّزاع بين الأدب الفارسي والتركي يعود إلى القرن التّاسع الهجري/السّادس عشر المسيحيّ.. وقد صنّف أمير علي شير نوايي الهراتي (844هـ-906هـ/1441م-1501م) كتابا بعنوان "محاكمات اللّغتين"، حاول أن يثبت فيه أنّ اللّغة التّركيّة أسمى وألطف، وأرقّ وأظرف من اللّغتين العربيّة والفارسيّة (ولا سيّما الفارسيّة)، وأنّها أكثر قابليّة لنظم الشّعر من العربيّة و الفارسيّة" [60].

وممّا لا شكّ فيه، أنّ هذه المواقف من الجانب التّركيّ، ومحاولة استيلائه على جميع تراث مولانا، قد أثارت نقد الأوساط العلميّة والثّقافيّة في إيران لهذا الاتّجاه الّذي يتغافل عن حقيقة كون جلال الدّين الرّوميّ كتب جميع مصنّفاته باللّغة الفارسيّة، وهذا ما جعل الأتراك الّذين يفخرون بأحتضان جثمانه بينهم عاجزين عن الأنس بروحه وفكره، بسبب جهلهم للغة الفارسيّة الّتي تغنّى بها جلال الدّين في جميع تراثه الرّوحيّ والمعنويّ، وأقرّ أغلب المختصّين الإيرانيّين في الدّراسات المولويّة من العلماء والمفكّرين الإيرانيّين، من أمثال بديع الزّمان فروزانفر وجلال الدّين همائي ومحمّد تقي جعفري وعبد الكريم سروش وبهاء الدّين خرّمّـشاهي، بأنّه لا موجب للتّعصّب في هذا المجال، ولا

58) المرجع نفسه، ص 710.

59) المرجع نفسه، ص 710.

60) المرجع نفسه، ص 710، وقد ترجم كتاب "محاكمات اللّغتين" إلى اللّغة الأنجليزيّة تحت عنوان : Judgement Between the two Languges, Mohâkamât al-loghatayn, tran. Robert Devereux, Leiden : Brill, 1966.

داعي إلى الانغلاق في خصوص التّعامل مع هذه الشّخصيّة الفذّة الّتي هي – بحقّ – ملك للإنسانيّة بلا استثناء، إذ يبقى جلال الدّين رمزا لنشر المحبّة، ومدرسة لتعليم ثقّافة العشق، وإشاعة روح الوئام والسّلام في أرجاء العالم، ويمكنني أن أضيف هنا أنّ هذا الموقف الإيجابيّ لا يعفي المحافل العلميّة في الشّرق والغرب، على حدّ سواء، من وجوب العمل على تصحيح حقائق التّاريخ الّتي تؤكّد بلا جدال أنّ جلال الدّين : بلخيّ النّسبة والمولد، وإنّ هذه النّسبة صريحة ومؤكّدة، وقد تضافرت الأدلّة والشّواهد على تهافت نسبته إلى الرّوم، الأمر الّذي يفرض علينا جميعا إصلاح هذا الخطأ، والعدول عنه.

7. جدليّة التّأثّر والتّأثيـــر بين الإنســـان والبيئة :

تختلف ردود أفعال البشر إزاء المحيط الّذي يعيشون فيه باختلاف مستوياتهم الاجتماعية والفكريّة والأخلاقيّة، فهناك صنف من النّاس يتعرّض للتّأثّر بالبيئة الّتي يعيش فيها، بإيجابيّاتها وسلبيّاتها، ومنهم من تسمو به نفسه، فلا يتأثّر إلاّ بما هو إيجابيّ، وأمّا صنف العباقرة والأفذاذ، فإنّهم يؤثّرون في البيئة والمحيط، بقدر ما يتأثّرون بهما، قلّ ذلك أم كثر، بل نجد من بين هؤلاء من يتمكّن من تعبيد أرضيّة مناسبة لكي يوسم العصر الّذي عاش فيه باسمه، ويشهد على هذا الأمر ما اتّفق عليه عدد من نقّاد الأدب الفارسي على استعمال مصطلحات "عصر الرّودكي" (61) و"عصر الفردوسي" و"عصر المولوي جلال الدّين" وعصر "سعدي الشّيرازي" و"عصر حافظ الشّيرازي" لتاريخ العصور الأدبيّة، وذلك بدل استعمال مصطلحات "العصر السّاماني" و"العصر الغزنوي" و"العصر المغوليّ" ممّا يشهد لهؤلاء الأفذاذ من رجالات الفكر والأدب بالتّفرّد

61) الرّودكي السّمرقندي (توفّي سنة 329هـــ)، شاعر إيرانيّ كبير، معاصر للدّولة السّامانيّة، ويعدّ أوّل شاعر إيرانيّ، ويطلق عليه لقب أستاذ الشّعراء، وكان ماهرا في جميع فنون الشّعر، وله حوالي مائة ألف بيت من الشّعر، ضاع كلّه، ولم يبق منه سوى النزر اليسير، راجع : خانلري، زاهر – فرهنــگ ادبيّات فارسى درى (معجم الآداب الفارسيّة الدّريّة)، انتشارات بنياد فرهنــگ ايران، (نشر مؤسّسة الثّقافة الإيرانيّة)، تهران، دون تاريخ، ص 238-239.

بخصائص العبقريّة والسّلطة المعرفيّة الّتي جعلت التّاريخ برمّته يدور في فلكهم، وينسب إلى أثرهم. ومن هذا المنطلق، كان الحيف وانعدام الوجدان الإنسانيّ نسبة العصر الّذي عاش فيه جلال الدّين إلى المغول [62] "الّذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد"، بينما كان جلال الدّين من أبرز العلامات المنفتحة على المحيط البلخيّ فتأثّر بما يميّزه من مشاعر الوئام والانسجام بين مكوّنات الجنس الإنساني، ويشهد على ذلك التّواصل بين الثّقافات، والتّفاعل الإيجابيّ بين الأديان والحضارات، وذلك إضافة إلى تأثير شخصيّة جلال الدّين في هذا المحيط حتّى غدا قدوة للعارفين ورمزا للعاشقين، في سفرهم الرّوحاني من الخلق إلى الحقّ.

وتبدو تجلّيات هذه الجدليّة بين الإنسان والبيئة واضحة من خلال ما شاهده جلال الدّين البلخيّ في العواصم الإسلاميّة الّتي زارها وأقام بها، مثل دمشق وبغداد، على أنّ للتّنوّع الثّقافي والتّعدّد الدّينيّ اللّذين ميّزا مسقط رأسه بلخ، وكذلك مدينة قونيـــة الّتي استقرّت فيها حياته البرزخيّة، ميزات خاصّة في هذا المضمار، وقد تعرّض الشّاعر الألمانيّ جوته في التّعليقات الّتي حرّرها في الفصل الأخير من ديوانه "الدّيوان الشّرقيّ للمؤلّف الغربيّ" إلى إبراز تعجّبه من التّنوّع الدّينيّ الّذي كان يوجد في مدينة بلخ، إذ تجاورت فيها كلّ الأديان من هندوكيّة وزرادشتيّة، وبوذيّة وإسلاميّة، فعبّر عن دهشته من هذا الأمر بقوله : "... وكثير من المدن انتشرت في مناطق عديدة كمراكز حيويّة، وما هو أعجب في نظري هو أنّ الجوار المدمّر للوثنيّة الهندوكيّة لم يؤثّر فيها. ومن المدهش

62) تعرّضت إيران لهجمات التّتار والمغول، وكان لهذه الحملات الّتي بدأت في 616 هـــ الموافق لـــ 1219م أثر كبير في قلب الأوضاع في إيران اجتماعيّا وعقليا وعلميا وأدبيا... وآمتدّت حتى أواخر القرن العاشر الهجري، أي أوائل القرن السّادس عشر الميلادي حيث تأسّست الدّولة الصّفويّة – نقلا عن : طهراني، نادر نظام – المختصر في تاريخ الأدب الفارسي – منشورات جامعة العلاّمة الطّباطبائي، تهران، الطّبعة الأولى، 1383 هجري شمسي/1425هـــ/2004م، ص 11.

أنّه لمّا كانت مدينة بلخ قريبة جدّا من مدينة باميان [63]، فقد شوهد هنا صنع وعبادة أبشع أوثان العظمة الهائلة، بينما هناك حوفظ على معابد النّار الطّاهرة، ونشأ الجمهور الكبير من الموبذان [64] في معابد هذه الدّيانة" [65]، ويشهد التّاريخ على سماحة المسلمين في التّعامل مع أتباع الدّيانات الّتي كتب لها مجاورتهم، ومن ذلك مدح الشّاعر الفارسيّ أبي القاسم العنصريّ [66] لصنمي مدينة باميان، فقد ذكر علي أكبر فيّاض في كتابه "محاضرات عن الشّعر الفارسي والحضارة الإسلاميّة في إيران" ضمن حديثه عن أدب الشّاعر العنصري أنّه نظم مثنويّا [67] "يعرف باسم "سرخ بت وخنك بت"أي الصّنم الأحمر والصّنم السّعيد (على شكّ في قراءة كلمة خنك)، وكانا صنمين في معبد للبوذيّين بقرب الباميان من نواحي بلخ. وهذه القصّة عرّبها أبو ريحان البيرونيّ أيضا، وسمّاها حديث صنمي الباميان. هذا كلّ ما نعلمه عن هذه القصّة، ويظهر أنّها كانت قصّة بوذيّة شائعة في تلك النّاحية. فأخذها العنصريّ – ولا ننسى أنّه كان بلخيّ الأصل – وسبكها في قالب شعريّ. ويجدر بي أن أذكر هنا أنّ ناحية بلخ والباميان كانت تدين بالمذهب البوذيّ قبل ظهور الإسلام في إيران، وكان معبد نوبهار في بلخ يعدّ أعظم معابد البوذيّين. وقد ورد هذا المذهب من الهند

63) أصبح لهذه المدينة في أيّامنا هذه شهرة عالميّة بعد أن تعرّضت معالم الدّيانة البوذيّة فيها إلى الانتهاك من قبل إحدى الحركات الدّينيّة المتشدّدة.

64) الموبذان للمجوس كقاضي القضاة للمسلمين. والموبذ كالقاضي (قاله في النهاية 369/4)، قال المسعودي : "الموبذ" تفسيره حافظ الدّين، لأنّ الدّين بلغتهم "مو"، و"بَـــذ" حافظ، وموبذان موبذ هو رئيس الموابذة، وقاضي القضاة (التنبيه : 90).. وقال أدي شير : الموبذ والموبَذان فقيه الفرس وحاكم المجوس، فارسيته موبد، وجمعه موبدان (ص 148) – نقلا عن : المنجّد، صلاح الدين – المفصّل في الألفاظ الفارسيّة المعرّبة، في الشّعر الجاهلي، والقرآن الكريم، والحديث النّبويّ، والشّعر الأمويّ، نشر مؤسّسة الثّقافة الإيرانيّة، الطّبعة الأولى، 1398هـــ/1978م، ص 149.

65) جوته – الدّيوان الشّرقي للمؤلّف الغربيّ، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ص 386.

66) أبو القاسم حسن بنِ أحمد البلخي العنصري (منسوب إلى محلّة عنصر)، شاعر معروف، معاصر للدّولة الغزنويّة، توفي سنة 431 من الهجرة.

67) المثنوي، نوع من النّظم له انتشار واسع في الشّعر الفارسيّ، وأشهر المثنويّات على الإطلاق مثنوي مولانا جلالِ الدّين البلخيّ، غير أنّ لغيره من الشّعراء الإيرانيّين إبداعات مبتكرة في هذا النوع من الفنون الشّعريّة.

إلى هذا الإقليم، وتسرّب منه إلى النّواحي المجاورة له من شرقيّ إيران. وكلمة "بت" ومعناها بالفارسيّة "الصّنم"، يراها اللّغويّون صورة محرّفة لكلمة بوذا، نقلت من ذلك "المعنى الخاصّ إلى هذا المعنى العامّ" (68)، ومن المفارقات أنّ إحدى الحركات الدّينيّة المتشدّدة الّتي حكمت أفغانستان لمدّة قصيرة، قد تنكّرت لروح التّسامح الّتي حثّ عليها الإسلام، وطبّقت نهجا منغلقا ومتشدّدا دون مراعاة لمقتضيات العصر، وقامت بدكّ صنمي البــاميــان بواسطة المدافع، غير مكترثة للنداءات الّتي وجّهتها لها الهيئات الإسلاميّة والدّوليّة، ونحن على أعتاب القرن الواحد والعشرين، فأضرّت بحقيقة التّعايش بين الإسلام وغيره من الأديان عبر عصور التّاريخ.

وأمّا مدينة قونيــة، فتتحدّث عنها إيــفا دي فيتراى ميروفتش (1909م-جويلية 2001م) *Eva de Vitray Meyerovitch* بقولها : "إحدى عشرة حضارة ورثت إحداها الأخرى في قونيــة. كانت مفترق طرق للجيوش، وملتقى الشّرق والغرب، العالم الإغريقيّ والآسيويّ، كانت أرضا للنّماذج الأصليّة، والعلماء والحكماء والأولياء. وقد لعبت الأناضول دورا مهمّا في التّاريخ. والمكانة العظيمة للرّوميّ الّذي اتّخذ اسمها اسما له (69)، هي الرّمز الحيّ لهذه القيم. وهو لا يمثّل توفيقا بين العقائد الدّينيّة المختلفة *Syncretism*، بل تركيبا لها *Synthesis*. كان الرّسول للفكر العالميّ توادّا وحبّا" (70).

وتجدر الإشارة إلى أنّ جلال الدّين كان معاصرا لفتنة حملات المغول ضدّ العواصم الإسلاميّة، وآعتدائهم المدمّر على جميع ما يرمز إلى الحياة، كما

---

68) فيّاض، علي أكبر : محاضرات عن الشّعر الفارسي والحضارة الإسلاميّة في إيران، محاضرات ألقيت بجامعة فاروق الأوّل سنة 1950م، نشر مطابع الإصلاح بالإسكندريّة، ص 27.

69) لقد سبق أن أثبتنا أنّ النّسبة الصّحيحة لمولانا جلال الدّين هي البلخي لا سواها، ولا قيمة علميّة وتاريخيّة لكلّ ادّعاء مخالف.

70) ميروفتش، إيفادي فيتراي : جلال الدّين الرّومي والتّصوّف، ترجمه عن الأنجليزيّة عيسى علي آلعــــاكوب، مؤسّسة الطّباعة والنّشر، وزارة الثّقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، 1379 هجري شمسي/1421 هـــ/2000م، ص 87.

أنّه عاصر فتن الحروب الصّليبيّة، وكان له أن يختار بين أمرين، فإمّا أن ينخرط في أتون الحروب والدّعوة إلى سفك الدّماء، وإمّا الالتجاء إلى مناهج التّعليم الرّوحيّ ونشر قيم الوئام والسّلام، وكانت فطرة جلال الدّين تؤمن بأنّه يمكن للإنسان أن يحقّق السّعادة والأمل، والتّعايش والتّآلف بين مختلف الأديان والملل : إذا ما صدق العزم، وخلصت النّيّة، وقد تجلّى ذلك في العديد من المواقف الّتي نقلها معاصروه، ومنها ما ذكره شمس الدّين أحمد الأفلاكي (توفّي 761هـ/1360م) في كتابه "مناقب العارفين" من "أنّ راهبا من القسطنطينيّة حلّ بمدينة قونيـــة، فصادف جلال الدّين في الطّريق. انحنى ثلاث مرّات تحيّة لمولانا وآجتهادا في إكرامه، ولكنّه كلّما رفع رأسه وجد مولانا مطأطئ الرّأس مبالغة في التّرحيب به وتعبيرا عن توقيره" (71)، وحكى الأفلاكيّ أيضا "أنّ مولانا لقي قصّابا أرمنيّا في الطّريق، فحنى رأسه سبع مرّات إكراما لذلك القصّاب" (72)، وذكر عبد الباقي گولـــپـينارلي "أنّه كان لمولانا أصدقاء من الرّهبان المسيحيّين، وكان له أيضا صداقة مع راهب "دير أفلاطون" قرب مدينة قونيّـــــة، وكان يزوره في بعض اللّيالي، ويقضي معه اللّيل هناك. ولا نستطيع أن نعرف في أيّ القضايا كان مولانا يتباحث مع الرّاهب، وما هي طبيعة المناظرات الّتي كانت تجري بينهما حول مصنّفات أفلاطون وأفكاره ؟ إنّ خلاصة أشعار مولانا باللّغة اليونانيّة تقوم دليلا على صلته بالمسيحيّين، والرّهبان المسيحيّين أيضا" (73).

---

71) أفلاكـــــي، شمس الدّين : مناقب العارفين، ج 1، ص 361، نقلا عن : گــــولــپـــــينارلي Gūlpīnarlī، عبد الباقي، مولانا جلال الدّين، زندگـــــانى، فلسفه، آثار وگـــزيده اى از آنها (مولانا جلال الدّين، حياته، فلسفته، آثاره ومختارات منها)، ترجمه من التّركيّة توفيق هاشم پـــورسبحانى، پـــژوهشـــگـــاه علوم انسانى ومطالعات فرهنـــگـــى، (مركز البحوث للعلوم الإنسانيّة والدّراسات الثّقافيّة)، الطّبعة الثالثة، تهران، 1375 هجري شمسي/1416هـــ/1996م، ص 318.

72) المصدر نفسه، ج 1، ص 153، نقلا عن : گـــولــپــنارلي، مولانا جلال الدّين، ص 318.

73) گـــولــپــنارلي، مولانا جلال الدّين، ص 417.

إنّ تكريم جلال الدّين البلخيّ لأتباع الدّيانات الأخرى نابع من تعاليم الدّين الإسلاميّ الّذي يأمر بالعدل والإحسان، وآحترام حقوق الإنسان، وقد تجلّت ثمرة السّيرة الرّوحيّة الّتي انتهجها طيلة حياته عندما وافته المنيّة فخرجت مدينة قونيّـــة بجميع طوائفها الدّينيّة لتشييع الجنازة المهيبة، وقد تناقلت كتب السّير وصف هذه الجنازة بالقول : "عندما وصل ما سمّاه الرّوميّ فجر الموت (المثنوي، 4، 3628) أخذ كلّ أهل قونيـــة أيّا كان معتقدهم، بالنّواح. ويصف الأفلاكيّ الجنازة، فيقول : "بعد أن حملوا الجثمان على عربة، كلّ النّاس، الأغنياء والفقراء على السّواء حسروا عن رؤوسهم. النّساء والرّجال والأطفال، كلّ النّاس كانوا هناك. كان ثمّة اهتياج وصخب، كأنّ ذلك اليوم يوم النّشور. كلّ إنسان كان يبكي، ومعظم الرّجال كانوا يمشون ويبكون، ويشقّون ثيابهم، وأجسادهم عارية. أبناء الجاليات والثّقافات جميعا كانوا موجودين : المسيحيّون واليهود، واليونانيّون والعرب والتّرك، إلخ... كانوا يمشون في المقدّمة، ممسكا كلّ منهم بكتابه المقدّس مرفوعا. كانوا يقرؤون المزامير أو الأسفار الخمسة أو الأناجيل، تبعا لدين كلّ منهم. كان الاندفاع والتّفجّع قويّا بحيث إنّ المسلمين لم يستطيعوا إيقافهم بالعصيّ والسّيوف. هذا الصّخب المدوّي ترامى سريعا إلى سمع السّلطان ووزيره "پــروانـــه" [74] الّذي أرسل إلى رؤساء هذه الطّوائف الدّينيّة، وسألهم عن مبعث تأثّرهم الشّديد، والشّخص الّذي يتفجّعون عليه كان إمام المسلمين، فأجابوا : عندما رأيناه أدركنا الطّبيعة الحقيقيّة للمسيح وموسى، ولكلّ الأنبياء. لقد رأينا فيه السّلوك الكامل الموصوف في كتبنا على غرار ما يكون سلوك الأنبياء الكمّل. ومثلما تقولون أنتم، المسلمين : إنّ مولانا هو محمّد زماننا، كذلك نعتقد نحن أنّه موسى وعيسى زماننا، ومثلما أنتم أحبّاؤه الصّادقون، نحن أيضا، وأكثر ألف مرّة، مواليه ومريدوه. ألم يقل اثنتان

74) پـــــروانه Parvaneh، هو الوزير معين الدّين سليمان بن علي، الشّهير بلقب پـــــروانه.

وسبعون نحلة ستسمع منّا، أسرارها. ونحن مثل النّاي الّذي هو، في صورة واحدة، مؤلّف لمئتي دين" (75).

8. دور الأدب المولوي في تعزيــز روح الوئام ومشاعر الانسجام :

يمثّل أدب جلال الدّين البلخيّ مرآة تنعكس من خلالها النّزعات الإنسانيّة الصّادقة، فكلّ ما اشتمل عليه هذا الأدب، إنّما كان صادرا عن قلب صادق، وروح عاشقة للإنسان، تنشد له الجمال والكمال، وتناشده إلى توحيد عواطفه ومشاعره، ابتغاء تحقيق حياة يسودها العدل والسّلام، ونبذ التّفرقة العنصريّة والدّينيّة، وما هذه القيم سوى أصداء لما يجري في فطرة الإنسان من حبّ التّضامن والتّعاون، والعيش في مأمن من المكاره والمخاطر. ولمّا كان من العسير على أغلب أفراد الجنس البشريّ التّعبير عمّا يدور بخلدهم من نزوع إلى هذه القيم، فإنّهم لا يتردّدون عن التقاطها أنّى وجدت، لأنّها قيم إنسانيّة، تخصّ الشّرق والغرب، رغم صدورها عن شخصيّة عرفانيّة لم يعرفها العالم بأسره إلاّ من خلال اللّغة الفارسيّة الّتي صاغ بها أدبه في أشهر القوالب الشعريّة باللّسان الفارسيّ، وهو المثنوي والغزليّات، لكنّ هذا الأمر لم يكن ليمنع تحوّل جلال الدّين البلخيّ إلى شخصيّة عالميّة، ويصير "رمزا من الشّرق في ضمير الغرب" يستخرج من حكمته ومعرفته جواهر عرفانيّة، ولطائف أخلاقيّة، وقد عبّر مرتضى مطَهَّري (1920م–1979م) عن هذه النّزعة الكونيّة الّتي تتجاوز المشاعر القوميّة الضّيّقة إلى أفق الأخوّة الإنسانيّة المطلقة، بقوله : "ونعلم أنّ هناك منطقا أسمى من منطق الأحاسيس القوميّة، يكون الدّين والعلم والفلسفة فوق مرتبة الأحاسيس، وأنّ الأحاسيس القوميّة، مهما كان مرغوبا فيها في أيّ مجال، كانت غير مرغوب فيها في الدّين والعلم والفلسفة، فإنّه لا يمكننا أن نقبل مسألة علميّة أو فلسفيّة أو دينيّة بحجّة أنّها مسألة قوميّة، كما لا يمكن

75) ميروفتش، إيفادي فيتراي – جلال الدّين الرّومي والتّصوّف، ترجمة عيسى علي العاكوب، ص 79-80.

أن نردّها ونعمى عنها بحجّة أنّها أجنبيّة ومن أجنبيّ عنّا، ولقد صدق من قال: "لا وطن للدّين والعلم والفلسفة، بل هي لكلّ أحد، وفي كلّ بلد"، كما أنّه لا وطن لرجال العلم والدّين والفلسفة، بل هم عالميّون، لهم وطن في كلّ مكان، وإخوان في جميع البلدان" [76]، ولا شكّ أنّ جلال الدّين البلخيّ ممّن تصدق في حقّهم نظريّة "لهم وطن في كلّ مكان، وإخوان في جميع البلدان"، وذلك إلى جانب حضوره في مختلف العصور والأزمان، ويمكن أن يتّضح هذا الأمر من بعض نماذج أدبه الّتي سنسوقها أدناه، ممّا اهتزّت له المشاعر، واستجابت له الخواطر، وغاصت في معانيه النّواظر.

أ- حلـــــول الأنا في الآخــــر :

وردت قصّة ذهاب أحد المحبّين لزيارة حبيبه في الدّفتر الأوّل من المثنويّ المعنويّ [77]، وقد استخرج منها الباحثون دلالات مختلفة، إذ يرى الأديب الأنجليزي راسل لوول *James Russel Lowell* أنّ جلال الدّين لم يقصد من إيراد هذه القصّة سوى تأكيد نظريّة وحدة الوجود الّتي لها تداعيات تتجلّى في اتّحاد العامل والمعمول، والأنا والآخر، والخالق والمخلوق، بينما ذهب كلّ من محمّد حسن الأعظمي والصّاوي علي شعلان إلى أنّ هذه القصّة تعبّر عن "وحدة الشّهود لا وحدة الوجود"، وصورة القصّة هي أنّ "أحد المحبّين ذهب لزيارة حبيبه، ولمّا طرق الباب، سأله الحبيب من الطّارق ؟ قال في الجواب : أنا. قال الحبيب : عد من حيث أتيت، فليس ثمّة هنا مكان للقائك، ولا حاجة بوجود طعام غير ناضج على المائدة. ولا شيء ينضج قلوب المحبّين وأرواحهم سوى نار الوجد والهجر، فامض إلى أن تحترق أنانيتك على جمر الفراق. وعاد

76) مطهّري، مرتضى : خدمات متقابل بين ايران واسلام (الخدمات المتبادلة بين إيران والإسلام)، ترجمه عن الفارسيّة محمّد هادي اليوسفي الغروي تحت عنوان : الإسلام وإيران، نشر قسم العلاقات الدّوليّة بمنظّمة الإعلام الإسلامي، تهران، الطبعة الأولى، ج 1، ص 53.

77) مولانا، جلال الدين محمّد بلخي، مثنوى معنوى، الدّفتر الأوّل : الأبيات 3057 إلى 3064، ص 137.

العاشق أدراجه، وبعد سنة عاد ينشد لقاء محبوبه، وكان قد اكتوى من لوعة البعد ممّا أفنى أنانيته. ولمّا طرق الباب، سأله المحبوب من الدّاخل مرّة أخرى، من الطّارق ؟ أجاب في أدب : أنت الزّائر والمزور، قال له الآن عرفت معنى العشق، فادخل :

قال لي المحبوب لمّا زرتــه ... من ببابي؟ قلت بالباب أنـــا
قال لي أنكرت توحيد الهوى ... عندما فرّقت فيه بيننـــا
ومضى عام فلمّا جئتــه ... أطرق الباب عليـه موهنـــا
قال لي من أنت؟ قلت انظـر ... فما ثمّ إلاّ أنت بالباب هنـــا
قال لي أدركت توحيد الهوى ... وعرفت الحبّ، فادخل يا أنا (78)

ومهما اختلفت الأنظار في هذه القصّة، فإنّها تدعو – بلا أدنى شكّ – إلى أن يحبّ الإنسان لأخيه ما يحبّ لنفسه، وهذه الأخوّة إنسانيّة عامّة، شاملة لجميع أفراد الجنس البشريّ. وقد أثّرت هذه القصّة أيّما تأثير في فكر لوول راسل (79)، فصبغت أدبه بلون إنسانيّ خاصّ، زالت فيه الفوارق بين الأنا والآخر، ولا يتحقّق هذا المستوى من التّعامل إلاّ بالعزم الصّادق والنّية الخالصة، وقد ورد هذا المعنى الإنسانيّ الجامع على لسان الحسين بن منصور الحلاّج (244 هـ–309 هـ/ 858م–922 م)، وهو يعبّر هنا عن روح الاتّحاد والانسجام بين الإنسانيّة إلى الحدّ الّذي تزول فيه الفوارق والحواجز الّتي تفصل بين الإنسان وأخيه الإنسان :

78) نقلا عن : الأعلام الخمسة للشّعر الإسلاميّ، ترجمه نثرا ونظما محمّد حسن الأعظمي والصّاوي علي شعلان، تحقيق مصطفى غالب، مؤسّسة عز الدّين للنّشر، بيروت، 1408هـ/1988م، ص 368.

79) Lowell, «Fragments of an Unfinished Poem», Complete writing, 16 vols. Elmwood Ed. (Boston : Houghton Mifflin, 1904), VII, 18.
نقلا عن : تميم داري، أحمد – مولوى پـژوهي دركشورهاى انگليسى زبان (الدّراسات المولويّة في البلدان النّاطقة بالأنجليزيّة)، ص 19-20.

أنا من أهوى، ومن أهوى أنـــا   نحن روحان حللــــــنا بدنــــــا
نحن، مذ كنّا على عهد الوفـــا   تضرب الأمثال للنّـــــــاس بنـــــا
فإذا أبصرتنـــي أبصرتــــــــه   وإذا أبصرتــــــــه أبصرتنــــــــا
أيّها السّائــل عن قصّتنــــــــا   لو ترانــــــا لم تفــرّق بيننـــــــا
روحه روحي، وروحي روحه من رأى روحين حلّت بدنــا ؟ (80)

ب - النّـــــور واحد والشّمـــــوع متعـــــدّدة :

استمدّ جون هيك (1922م -) *John Hick*، نظريّة التّعدّديّة الدّينيّة من إحدى القصص الّتي وردت في المثنوي المعنويّ لجلال الدّين، وتعرف بقصّة "الاختلاف في كيفيّة شكل الفيل في اللّيلة الظّلماء" (81)، وملخّصها "أنّ جماعة من الهنود أدخلوا فيلا في مكان مظلم، وجاء كثير من النّاس الذين لم يكن لهم سابق معرفة بالفيل .. ولمّا كان المكان مظلما، والرّؤية بالبصر غير ممكنة، كان كلّ منهم يتحسّس بيده ليفهم باللّمس أيّ نوع من الموجودات هو، فالّذي مرّ بيده على خرطومه، قال إنّ الفيل كالزّورق، والّذي لمس بيده أذن الفيل قال إنّه كالمروحة .. والّذي لمس ساق الفيل قال إنّه كالعمود .. والّذي مرّ بيده على ظهر الفيل، قال إنّ الفيل كالسّرير.

يقول جلال الدّين البلخيّ :

"لو كان في كفّ كلّ واحد شمعــــة
لانتفى الخلاف عن أقوالهـــــــم
وعين الحسّ هي كراحة اليـــــد
وليس للرّاحة سلطة على غيرها" (82)

---

80) الحلاّج، الحسين بن منصور، الدّيوان، ومعه أخبار الحلاّج وكتاب الطّواسين، وضع حواشيه وعلّق عليه محمّد باسل عيون السّود، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطّبعة الأولى 1419هـ/1998م، ص 158-159.

81) مولانا، جلال الدين محمّد بلخي، مثنوى معنوى، الدّفتر الثّالث : الأبيات 1258 إلى 1270.

82) غني، قاسم : تاريخ التّصوّف في الإسلام، ترجمه عن الفارسيّة صادق نشأت، نشر الإدارة الثّقافيّة لجامعة الدّول العربيّة، مكتبة النهضة المصريّة، 1972م، ص 272-273.

وتعلّق المستشرقة الألمانيّة آن ماري شيمل على هذه القصّة بقولها : "هذه هي حال النّاس الّذين يصفون الله على حسب ما يعرفون من صفاته، ولا طريق لهم إلى إدراك ذاته" (83)، وتجدر الإشارة إلى أنّ هدف المولوي من إيراد قصّة "الاختلاف حول شكل الفيل" لم يكن سوى السّعي إلى إيجاد حلّ للخلاف القائم بين أتباع الدّيانات، وهو خلاف ظاهريّ مردّه إلى الزّاوية الّتي ينظر منها أتباع كلّ دين، بينما يبقى الدّين في جوهره بريئا من الصّراع والتّخاصم الّذي نشأ عبر العصور بين معتنقي اليهوديّة والمسيحيّة والمجوسيّة والإسلام، وفي هذا السّياق، يقول جلال الدّين البلخيّ :

"فمن المنظـــر يا لبّ الوجـــود
اختلاف المؤمن حقّـــا يعـــود
مع مجوس ويهـــود وملـــــل
... خالفت، لكلّ رأيا ونحل" (84)

وقد تلقّى الباحثون والدّارسون في الشّرق والغرب هذه القصّة بالنّظر والتّحقيق، فجعلها جون هيك إحدى دعائم نظريّته حول "التّعدّديّة الدّينيّة"، بمعنى أنّ جميع أتباع الدّيانات في نظره، وبحسب ما ترمز إليه هذه القصّة من معان عرفانيّة سامية، متّفقون في الجوهر، ولا يكـــاد الاختلاف بينهم يتجاوز الصّور الظّاهريّة للمعتقدات الدّينيّة (85)، وقد سبق أبو منصور الحلاّج إلى هذا المعنى،

---

83) شيمل، آن ماري : التّصوّف كجسر بين الأديان والحضارات، مداخلة علميّة صدرت ضمن كتاب : الواقع الدّينيّ اليوم، المجتمع التونسي للعلوم والآداب والفنون : بيت الحكمة، تونس، 1999م، ص 77.

84) صاحب الجواهر، عبد العزيز، جواهر الآثار في ترجمة مثنوي مولانا خداونـــدگـــار محمّد جلال الدّين البلخيّ، نشر جامعة تهران، الدّفتر الثّالث.

85) راجع : هيك، جون : مباحث پـــلوراليسم دينى (بحوث حول التّعدّديّة الدّينيّة)، ترجمه إلى الفارسيّة عن الأنجليزيّة عبد الرّحيم گـــواهي، نشر المؤسّسة الثّقافيّة "تبيان"، تهران، الطّبعة الثّانية، 1383 هجري شمسي/2004م، ص 75.

وعنوان الكتاب باللّغة الأنجليزيّة، هو : Problems of Religions Pluralism, first published in 1985, Reprinted 1994.

بقوله : "اعلم أنّ اليهوديّة والنّصرانيّة والإسلام، وغير ذلك من الأديان، هي ألقاب مختلفة، وأسام متغايرة، والمقصود منها لا يتغيّر ولا يختلف، ثمّ قال :

تفكّرت في الأديان جدّ محقّق فألفيتها أصلا له شعب جمّا ..." (86)

وقد عالج الشّيخ مرتضى مطهّري في كتابه "العدل الإلاهي" بعض متعلقات هذه القضيّة بمنهج جديد، واجتهاد مستقلّ، وذلك عند تحليله للآية الكريمة من الكتاب العزيز : ﴿ **وما كنّا معذّبين حتّى نبعث رسولا** ﴾ (87)، فقال : "أي من المستحيل أن يعذّب الله إنسانا دون أن تكون الحجّة عليه تامّة. وعلماء الأصول يصطلحون على مفاد هذه الآية المؤيّدة لحكم العقل باصطلاح: "قبح العقاب بلا بيان"، ومعناه أنّ الله سبحانه إذا لم يبيّن الحقيقة كاملة لعباده، فمن القبيح أن ينزل بهم عقابه.

ولو بحثنا عن مثال لهذه الحقيقة، فمن الممكن أن نجد أفرادا يملكون أرواحا مستسلمة للحقّ، وإن لم يكن لها اسم الإسلام، وديكارت الفيلسوف الفرنسي نموذج جيّد لهذا الطّراز من النّاس، حسب تصريحاته عن نفسه.

وقد سجّل شرحا لحاله تضمّن أنّ فلسفته بدأت من الشّك، إذ اعتراه الشّك في كلّ معلوماته، وبدأ من الصّفر، واتّخذ فكره نقطة البدء، فقال "أنا أفكّر إذن أنا موجود."

وكتب جون هيــك مقالا مستقلاّ حول هذا الموضوع أيضا، بعنوان : چــراغ ها متفاوتند امّا نوريــكـــى است (المصابيح مختلفة، وأمّا النور، فواحد)، وصدر هذا المقال في مجلّة أخبار الأديان الّتي تصدر عن مؤسّسة الحوار بين الأديان – تهران/إيران، العدد 12، السّنة الثّانية، ص ص 46-52.

ويمكن لمن يروم مزيد الاطّلاع على نظريّات جون هيــك حول نظريّة التّعدّديّة مراجعة موقعه على شبكة المعلومات الدّوليّة :

www.johnHick.org.uk

86) الحلاّج : الدّيوان، ص 153.

87) الإسراء : 15.

إذن اتّخذ إثبات وجوده طريقا ووسيلة لإثبات الرّوح، وهكذا كان وجود الجسم ووجود الله قطعيّا بالنّسبة إليه. وبدأ يقترب قليلا قليلا من إثبات الدّين، فاختار الدّين المسيحيّ لأنّه الدّين الشّائع في وطنه.

وله حديث رائع يقول فيه : إنّني لا أدّعي أنّ المسيحيّة قطعا أفضل دين في الأرض، ولكنّي أقول إنّ المسيحيّة هي الأفضل بالقياس إلى الأديان الّتي أعرفها، وقد تناولتها بالبحث والتّحقيق. وليس لي أيّ عداء مع الحقيقة، فقد يكون هناك في أماكن أخرى دين يرجح المسيحيّة، ومن حسن الصّدف، فقد ذكر إيران مثالا على البلد الّذي لا يعرف عنه شيئا، ولا عن دين ومذهب سكّانها، فقال إنّه لا علم لي، فلعلّ دينا ومذهبا يوجد في إيران هو أفضل وأحسن من المسيحيّة.

فأشخاص كديكارت، لا يمكن تسميتهم بالكفّار، لأنّ هؤلاء لا يتّصفون بالعناد ولا يخفون الحقّ، وليس الكفر إلاّ العناد وتغطية الحقيقة. هؤلاء مسلمون بالفطرة، وإذا كنّا لا نستطيع تسميتهم بالمسلمين، فنحن أيضا لا نستطيع تسميتهم بالكافرين، وذلك لأنّ تقابل المسلم والكافر ليس من قبيل تقابل السّلب والإيجاب، أو تقابل الملكة وعدمها، باصطلاح الفلاسفة والمنطقيّين، وإنّما هو من قبيل تقابل الضّدين لأنّهما شيئان وجوديّان، وليس أحدهما وجوديّا، والآخر عدميّا.

ومن الواضح أنّنا ذكرنا ديكارت مثالا، ولا يعني هذا أنّنا نقضنا الأصل الّذي بيّناه سابقا، وهي أنّنا لا نبدي أيّة وجهة نظر في الأشخاص، وإنّما مقصودنا من التّمثيل بديكارت، أنّه لو كان صادقا في حديثه ، ومستسلما للحقيقة بالمقدار الّذي يدّعيه لنفسه، وقد بحث واستقصى بكلّ جهوده، ولم يصل إلى أكثر ممّا وصل إليه، فهو يعتبر حينئذ مسلما بالفطرة." [88]

---

88) مطهّري، مرتضى : العدل الإلهيّ، ترجمه عن الفارسيّة محمّد عبد المنعم الخاقاني، دار الفقه للطّباعة والنّشر، قم، إيران، الطّبعة الأولى، 1382 هجري شمسي/1424 هجري قمري/2003م، ص ص 335-337.

وتنسب إلى جلال الدّين غزليّات شعريّة، لا هدف لها سوى تخليد معنى الحريّة الإنسانيّة بمفهومها العميق، وأبعادها المطلقة، فلا الأديان والأجناس، والجغرافيا والتّاريخ، ولا الشّرق والغرب، والأرض والأفلاك، بإمكانها أن تحدّ من خلود الإنسان عبر الزّمان والمكان، يقول جلال الدّين الرّوميّ :

"مجهـــول أنـــا عنـــد نفســـي. بربّـــك خبّرنــــي مـــا العمـــل ؟
لا الهـــلال ولا الصّليـــب معبـــودي. ولا أنـــا كافـــر ولا يهـــودي.
ولا في الشّرق ولا في الغرب موطني. ولا لي قريب من ملاك ولا جنّ.
ولا طينتي من تـــراب ولا طـــلّ. ولا صـــورتي مـــاء ولا زبـــد.
ولا بالصّيــــن ولا سقسيــــن [89]، ولا ببلغـــــار مولــــــدي.
ولا بالعراق ولا خراسان، ولا الهند ذات الخمســة أنهـــار منبتـــي.
ولا بهذا الكون ولا ذاك، ولا في الجنّـــة ولا في النّـــار موطنـــي.
ولا طـــردت من عدن ولا يـــزدان [90]، ولا مـــن آدم أخـــذت نسبتـــي.
بـــل مـــن مقـــام ما أبعـــده مقـــام، وطريـــق خفيّ المعالـــــم.
تجرّدت عن بدني وروحي : فمن جديد أحـــيا في روح محبوبـــي." [91]

ورغم اتّفاق أغلب المختصّين الإيرانيّين على التّأكيد بعدم صحّة نسبة هذه الأبيات الّتي وردت ضمن ديوان غزليّات شمس التّبريزي إلى جلال الدّين البلخيّ، فإنّ كثيرا من الدّارسين في الغرب أعاروها أهميّة بالغة، وتلقّفوها بالقبول، ليستخرجوا منها معنى "وحدة الوجود"، وقد كان المستشرق الأنجليزي رينولد نيكلسون *Reynold Alleyne Nicholson* (1868م–1945م) مولعا بهذه

89) سقسين : مدينة تقع على ساحل شرق بحر الخزر (تركستان)، نقلا عن : فرهنـــگ فارسى (القاموس الفارسي)، تأليف محمّد معين، ج 5، ص 771.

90) يزدان : الله تعالى، أصلها ايزد.

91) نيكلسون، رينولد، في التّصوّف الإسلامي وتاريخه، ترجمة أبو العلا عفيفي، مطبعة لجنة التّأليف والترجمة والنشر، القاهرة/مصر، 1375هـــ/1956م، ص 95.

النّظريّة، مفتونا بها، وهذا ما جعله يتسرّع بأنّ هذه الأبيات وردت لتعبّر عن "وحدة الوجود" في فكر جلال الدّين، باعتبار ما في البيت الأخير من احتمال الإشارة إلى هذا المعنى، فقد ذكر أنّ "الشّعر الصّوفيّ الغنائيّ يصل إلى أرقى مراتبه في القصائد الّتي نظمها الصّوفيّة في وحدة الوجود، ووصفوا فيها أحوال الفناء والبقاء" [92]، وأضاف قائلا : "ومن الصّعب أن نعتبر هذا النّوع من الشّعر الصّوفي وليدا لوعي فنّي أدبيّ، بالرّغم ممّا في كثير من قصائده من جمال النّظم، ورقّة الأسلوب وأناقته، ولذلك أميل إلى القول بأنّ قصائد جلال الدّين الرّومي، وابن الفارض وابن عربي، وغيرهم من شعراء الصّوفيّة، كانت نتيجة لوحي أحوال الوجد الصّوفيّ، وأنّها تشابه ما يسمّى في عرف علم النّفس الحديث "الكتابة الآليّة" *(Automatic Writing)*. ومن خصائص هذه القصائد الغريبة أنّ أوزانها وأنغامها، وما صيغت فيه من الأساليب الرّمزيّة، كلّ أولئك عوامل تساعد على انتقال أحوال الوجد الّتي يشعر بها الشّاعر الصّوفي إلى سامعيه، ويزداد أثرها في السّامع إذا أنشدت، كما تنشد عادة، في حفلات الذّكر مصحوبة بالموسيقى." [93]

ونحن نرى أن نيكلسون قد ذهب بعيدا باستنباطه نظريّة وحدة الوجود من هذه الأبيات، إذ أنّ المتأمّل فيها ضمن ظروف عصرنا الرّاهن، لا يكاد يفهم منها سوى التّعبير عن وحدة الموجود في الإقبال على خالق المعبود، وربّ الوجود، فالإنسان إنّما يعيش ليحقّق السّعادة الإنسانيّة في إطار التّعاون والتّضامن، والعمل على استتباب السّلام، وقيم التّآلف والوئام، وهو بذلك قد يتجرّد عن بدنه وروحه، لتتحقّق إحدى آيات الله الكبرى، المتمثّلة في المودّة والرّحمة، والتّعارف والتّآلف، بين الشّعوب والأمم، وهذا ما يصطلح على تسميته اليوم بآتّحاد "الأنـــا مع الآخر"، حتّى تكون مشاعر الانتماء الدّينيّ

---

92) المرجع نفسه، ص 95.

93) المرجع نفسه، ص 95–96.

والعرقيّ، والثّقافيّ والحضاريّ، من مظاهر الإثراء والتّنوّع الّذي يضفي صفاء وجمالا على الكون، فالإسلام يخاطب أبناءه بقوله : "إنّ هذا الاختلاف الّذي ترونه بين أمم الأرض في الألوان والعناصر، والدّماء واللّغات، والّذي خلق منه الإنسان مقاييس للتّفرقة والانفصال والاستغلال، ليس شيئا جوهريّا أصيلا، وليس أيّ منهم أعزّ وأشرف، إلاّ من سلك سبيل التّكامل في الإنسانيّة، بسلوك سبيل الله والإسلام، وأنّ ما تشاهدونه بين أبناء البشر من الألوان والألسن والتّقاليد، ليست سوى صور لحقيقة واحدة، هي كثرة أفراد هذا الموجود الإنسانيّ، تماما كما تراه بعينك من الاختلاف في صور الطّبيعة والجمال، فلكلّ ورد رائحة ولون وفوائد خاصّة، ولجميعها التّقدير والتّثمين في سبيل تكامل الإنسان، وليس لهذه الاختلافات دور في فصل النّاس بعضهم عن بعض، وعداء بعضهم لبعض، بل لها دور التّعارف بينهم، ممّا يؤثّر في حصول التّكامل الماديّ والمعنويّ بينهم : ﴿ **يا أيّها النّاس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عن الله أتقاكم** (94) ﴾ (95).

ويحيلنا هذا الموقف إلى ضرورة التّذكير والتّأكيد على قضيّة أساسيّة، وهي أنّ المواقف الّتي عبّر عنها جلال الدّين البلخيّ تنسجم انسجاما كاملا مع مقتضيات الإسلام في الدّعوة إلى احترام الإنسانيّة بحسب ما ورد في تعاليم القرآن والسنّة.

ج- السّعي إلى إيجاد لغـــة إنسانيّـــة مشتركة :

وردت هذه القصّة في الدّفتر الثّاني من الثنويّ المعنويّ (96) وترجمها محمّد عبد السّلام كفافي، بما يلي :

---

94) الحجرات : 18.

95) مطهّري، مرتضى : الإسلام وإيران، ج 1، ص 39.

96) مولانا جلال الدّين محمّد البلخي، الدّفتر الثّاني، الأبيات 3685 وما بعدها، قصّة : منارعت چـــهاركس جهت آنـــگــــور، كه هريكى به نام ديـــگـــر فهم كرده بود آن را(نزاع أربعة أشخاص حول اسم العنب)، ص 309.

كيف تنازع أربعة أشخاص حول العنب
لأنّ كلاّ منهـــم كان يعرفـــه بآســـم
مختلـــف عمّا يعرفـــه الآخـــر

أعطى رجل درهما لأربعة أشخاص، فقال أحدهم، وكان فارسيّا : سأشتري بهذا آنـــگـــور [97].

فقال ثانيهم، وكان عربيّا : إنّي أريد عنبا لا آنـــگـــور، أيّها الخبيث.

فقال ثالثهم، وكان تركيّا : أنا لا أريد عنبا، بل أريد اوزوم [98].

فقال رابعهم، وكان روميّا : دعونا من هذا القول، فنحن نريد إستافيل [99].

فأدّى التّنازع بين هؤلاء إلى العراك، ذلك لأنّهم كانوا غافلين عن سرّ الأسماء !

وأخذ هؤلاء من جرّاء حماقتهم – يتلاكمون –، فقد كانوا مفعمين بالجهل، خاوين من المعرفة.

فلو كان هناك رجل متعدّد اللّغات – من أصحاب السّرّ الأعزّاء – لأقرّ بينهم الصّلح !

ولكان قال لهم : سوف أحقّق رغائبكم جميعا بهذا الدّرهم الواحد !

فإنّكم لو أسلمتم إلى قلوبكم، مجرّدة من الحقد، لصنع درهمكم الكثير من أجلكم.

ولأصبح درهمكم الواحد منفّذا لأربع رغائب ! ولصار أربعة أعداء – بالاتّحاد – رجلا واحدا !

---

97) آنـــگـــور : العنب، باللّغة الفارسيّة.

98) اوزوم : العنب، باللّغة التّركيّة.

99) استافيل : العنب، باللّغة اليونانيّة.

إنّ قول كلّ واحد منكم يجرّ إلى الخصومة والفراق ! وقولي أنا يقرّ بينكم الوفاق !" (100).

ويقترح مولانا جلال الدّين الاقتداء بحكمة نبيّ الله سليمان عليه السّلام، لمعالجة أسباب التّنازع والخصام:

كمثل سليمان الّذي انطلق برسالته من جانب الحقّ، وكان يعرف منطق الطّير كافّة.

ففي زمان عدله أنس الغزال إلى النّمر، وآنصرفا عن الصّراع ! وأصبحت الحمامة آمنة من مخالب الباز ! ولم يكن للحمل من الذّئب احتراز !

لقد أصبح سليمان وسيطا بين المتعادين، وساد الوفاق بين الطّير كافّة.

... ولزماننا هذا أيضا سليمان، وهو الّذي يقرّ الوئام، فلا يبقى لدينا جور !" (101).

ويختم المولويّ هذه القصّة بتوجيه عناية أهل كلّ عصر إلى الاقتداء بسيرة خير الأنام، عليه الصّلاة والسّلام، فقد أزال العداوة والأحقاد الّتي كانت بين الأنصار من قبيلة الأوس والخزرج في عصره، إذ بمثل هذه الرّوح يمكن لأهل الشّرق والغرب، أن يكوّنوا اليوم مجموعة إنسانيّة متّحدة تحت عناوين الأخوّة والسّلام، والتّعايش والتّضامن والوئام، ويضيف المولويّ في هذا المعنى :

ارتفاع الخلاف والعداوة من بين الأنصار

ببركات الرّسول، صلّى الله عليه وسلّــم

---

100) كفافي، محمّد عبد السّلام : ترجمة مثنوي جلال الدّين، المكتبة العصريّة، بيروت، الطّبعة الأولى، 1967م، ج 2، صص 366-367.

101) المرجع نفسه، ج 2، ص 368.

القبيلتان اللّتان عرفتا بآسم الأوس والخزرج، كانت كلّ منهما متعطّشة لدماء الأخرى.

وبفضل المصطفى تلاشت أحقادهم القديمة، في نور الإسلام والصّفاء.

ففي البداية أصبح هؤلاء الأعداء إخوانا، مثل حبّات العنب في البستان. وبنصحه إيّاهم بقوله تعالى : ﴿ **إنّما المؤمنون إخوة** ﴾ [102]، تكسّرت هذه الوحدات المنفصلة فأصبحت جسدا واحدا.

إنّ الإخوان شبيهون بصورة حبّات العنب، وهذه حين تعتصر، تصبح رحيقا واحدا.

... إنّ الأعناب الفجّة الطّيّبة هي الّتي تكون قابلة للنّضج، فهذه هي الّتي تغدو في عاقبة الأمر قلبا واحدا، بأنفاس أهل القلوب !

إنّها تندفع مسرعة نحو طبيعة الأعناب النّاضجة حتّى تزول الثّنائيّة والحقد والصّراع.

ثمّ هي في حال النّضج تمزّق جلودها، حتّى تتّحد، وتصير الوحدة صفة لها..." [103].

ويعلّق محمّد علي التّسخيري على الحلّ الّذي يقدّمه مولانا جلال الدّين، وهو "أنّ اختلاف النّاس سوف يختفي إذا ما انتقلنا من الألفاظ إلى المعاني"، بقوله : "أي إنّ كثيرا من الخلافات والصّراعات بين بني البشر منشؤها الألفاظ، ولو نظر هؤلاء للأمور بعين البصيرة، وغاصوا في عمق المعنى لما ظلّ هناك خلاف. إنّ هذا النّمط من النّظرة يمهّد لأساس نظريّ مناسب للحوار بين الأديان والثّقافات والحضارات. ذلك أنّ أفضل سبيل لحلّ النّزاعات الكلاميّة وغير

---

102) الحجرات : 10.

103) كفافي، محمّد عبد السّلام، ترجمة مثنوي جلال الدّين، ج 2، صص 369-370.

الحقيقيّة، هو التّوصّل إلى المعنى، فهو الأساس المشترك للحوار، إذ يمكن من خلاله التّفاؤل بالوصول إلى التّناغم الفكريّ، واكتشاف الحقيقة" [104].

9. الطّرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق :

ترمز قصّة "موسى الكليم والرّاعي"، وهي من القصص الّتي وردت في الدّفتر الثّاني من المثنويّ المعنويّ الشّريف [105]، إلى دعوة أولئك الّذين ينصّبون أنفسهم قضاة، يحاسبون النّاس بتشديد التّهديد والوعيد، وتوزيع تهم الكفر والمروق عن الدّين، متذرّعين بوسائل العنف ونسف الجسور لتحقيق مآربهم الّتي لا تراعي أخلاقا، ولا تضمن حقوقا، وهؤلاء موجودون في الشّرق والغرب على السّواء، ولهم طوابير مندسّة في أتباع كلّ دين بلا استثناء، وقد حاول مولانا جلال الدّين أن يبلّغنا أنّ رسالة الإصلاح تبني وتعمّر، وتوحّد ولا تبدّد، وذلك باعتبار أنّ طرق عبادة الله بعدد أنفاس الخلائق، وأنّ العبرة في العلاقات الإنسانيّة بالجوهر لا بالعرض، وبالثّمرة لا بالقشرة، ومعنى هذا أنّ رسالة الحكماء والعقلاء، والمصلحين والمجدّدين، لابدّ أن تتنزّل في إطار "الوصل لا الفصل"، وتجنّب مسالك التّحريض على الفرقة والتّفريق ؛ لأنّها لا تؤدّي إلاّ إلى الانفصال والطّلاق ؛ وهو أبغض الأعمال إلى الله على الإطلاق.

---

104) التّسخيري، محمّد علي : مولانا نبراس العشق، داعية التّعدّد والحوار والقيم المعنويّة (نصّ محاضرة ألقيت في الجلسة الافتتاحيّة لمؤتمر مولانا جلال الدّين البلخي في فيينا، عاصمة النّمسا)، راجع : مجلّة الدّراسات الأدبيّة في الثّقافتين العربيّة والفارسيّة وتفاعلهما، تصدر عن الجامعة اللّبنانيّة/قسم اللّغة الفارسيّة وآدابها، الدّورة الجديدة، السنة الثانية، العدد 7 و8، 2003م، صص 62-63.

105) مولانا جلال الدّين محمّد البلخي، مثنوى معنوى، الدّفتر الثّاني، الأبيات 1720 وما بعدها – قصّة : انكاركردن موسى عليه السّلام، برمناجات شبان (إنكار موسى عليه السّلام لمناجاة الرّاعي)، صص 236-237.

10. الرّحلة المعنويّة من الشّرق إلى الغرب :

إنّ المطّلعين على مدى الحضور الرّوحيّ والمعنويّ الّذي اكتسبته المعارف المولويّة في أوروبا وأمريكا يدركون أنّ الحدود الجغرافيّة والفوارق الدّينيّة، والثّقافيّة والعرقيّة، ليس لها أيّ طاقة على مقاومة نزعة الإنسان إلى التّوحّد على أساس الأصول الرّوحانيّة المشتركة، باعتبارها حاجة ضروريّة لا غنى عنها، وقد كان للغرب اهتمام خاصّ بجلال الدّين البلخيّ منذ أن تمّ اكتشافه في الفضاءات الأكاديميّة والعلميّة، فصار له تأثير في مختلف البلدان، وآمتدّ هذا التّأثير إلى شتّى فروع المعرفة، بل تمكّن من الحضور في الكنائس الّتي تبنّى بعض أتباعها أشعاره العرفانيّة الّتي صارت ترنيمات دينيّة يردّدها المسيحيّون في جوّ من الخشوع والسّكينة [106]، وكان يوسف فون هامر پورجستال (1774م-1856م) *J. von Hammer Purgstal* من بين أوائل المستشرقين الّذين ساهموا مساهمة مباشرة في الاهتمام بالأدب الفارسي ونشره في الغرب، فاعتنى بدراسة أدب العديد من الشّعراء، وعلى رأسهم الشّيرازيّان : سعدي وحافظ، وكذلك مولانا جلال الدّين البلخيّ، وغير هؤلاء من شعراء الفرس، ممّن تميّزوا بالنّزعة الإنسانيّة العابرة لحدود الزّمان والمكان، "وكان هامر مشغوفا بالأدب الشّرقيّ، ولم يزل طول حياته يسعى في نشر حبّ الشّرق في أوروبا، كما أنّه ألّف في شبابه قصيدة في أهمّية الاشتغال بالأدب الشّرقيّ" [107]، وقد تجسّد هذا الاهتمام، بإصدار فون هامر مجلّة تعنى بآداب الشّرق، أطلق عليها عنوانا عربيّا هو "مجلّة مخزن الكنوز الشّرقيّة"، وجعل لها شعارا ثابتا يظهر على غلاف كلّ عدد من أعداد المجلّة، ويتمثّل هذا

---

106) راجع : دين لويس، فرانكلين : مولانا : ديروزتا امروز، شرق تاغرب، ترجمه عن الأنجليزيّة إلى الفارسيّة حسن لاهوتي، ص 669.

107) شيمل، آن ماري : يوسف فون هامر پـــورجستال، مقال صدر ضمن كتاب : المستشرقون الألمان : تراجمهم وما أسهموا به في الدّراسات العربيّة، دراسات جمعها وشارك فيها صلاح الدّين المنجّد، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1982م، ج 1، ص 28.

الشّعار في الآية القرآنيّة ﴿ **قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم** ﴾ [108]، كما أنّه كتب بخطّ يده الجملة العربيّة التّالية في آفتتاحيّة العدد الأوّل من المجلّة : "ما لا يدرك كلّه لا يترك كلّه، فإنّ العلم بالبعض خير من الجهل بالكلّ" [109].

وتوسّع الاهتمام بأدب جلال الدّين البلخيّ في الغرب حتّى غدا ركيزة هامّة في دراسات فلسفة الدّين وعلم مقارنة الأديان، وعلم النّفس والفلسفة، والأدب والفنون والموسيقى، وقد صرّحت العديد من الشّخصيّات العلميّة المرموقة في أوروبا وأمريكا بما من شأنه أن يكشف عن نبوغ هذا العارف المسلم الفذّ، ومن ذلك ما قاله المستشرق الأنجليزي إدوارد براون (1862م-1926م) *Edward Granville Browne* : "بلا أدنى شكّ، فإنّ مولانا أشهر صوفيّ من بلاد إيران، والمثنوي من أعظم المنظومات الشّعريّة في جميع العصور" [110]، وأمّا ويليام جونز (1746م-1794م) *William Jones*، فإنّه كتب على هامش نسخته من المثنويّ : "لا أعرف نظيرا لشكسبير غير مولانا" [111]، وذكر نيكلسون : "أنّ مولانا أكبر شاعر صوفيّ في جميع العصور" [112].

ومنذ سنة 1970م، انتقل الاهتمام بجلال الدّين البلخيّ من ألمانيا وأنجلترا وفرنسا، وغيرها من الأقطار الأوروبيّة، إلى الولايات المتّحدة الأمريكيّة، وشكّل هذا التّركيز على دراسة أدبه ظهور موجة جديدة اصطلح النّقاد على تسميتها بالعصر الجديد "*New age*"، وأصبح جلال الدّين مركز الاهتمام

---

108) البقرة : 142.

109) اخگري، محمّد : شرق شناسى در آلمان (الاستشراق في ألمانيا)، مقال صدر في مجلّة چشم انداز ارتباطات فرهنگى (أضواء على العلاقات الثّقافيّة)، تصدر عن منظّمة الثّقافة والعلاقات الإسلاميّة، إيران، العدد 24، جوان/جويلية 2006 (عدد خاصّ بالاستشراق)، ص 65-66.

110) دين لويس، فرانكلين : مولانا، ص 681.

111) المرجع نفسه، ص 678-679.

112) المرجع نفسه، ص 682 وما بعدها.

في الموقع الدّوليّ للرّقص من أجل السّلام العالميّ، وإيجاد التّفاهم والحوار بين الأديان [113]، وقد أقرّ الباحث الأمريكيّ ويليام تشيـتيك (1943م-) *William Chittick* بقيمة مولانا من خلال تأكيده "أنّه لسنا في حاجة لكي نفهم الشّعر حتّى نقرّ بأنّ مولانا أكبر معلّم للتّعاليم المعنويّة والرّوحيّة، وأنّه لم يظهر له نظير في الوجود" [114].

وقد أعلنت مجلّة كريستيان ساينس مانيتور *Christian Science Monitor* بتاريخ 25 نوفمبر 1997 أنّ كتب مولانا أضحت أكثر المطبوعات رواجا في الولايات المتّحدة الأمريكيّة، كما آنتشرت عديد عناوين المواقع على شبكة الأنترنات لترويج جميع ما يتّصل بالرّحلات السّياحيّة والحفلات الموسيقيّة الّتي تتمحور حول شخصيّة جلال الدّين البلخيّ، داخل الولايات المتّحدة الأمريكيّة وخارجها.

وإذا كان من غير الممكن الإحاطة بهذا الجانب من الانتشار الواسع في أوروبا وأمريكا، فإنّه بالإمكان الإشارة إلى ما ذهبت إليه المستشرقة الألمانيّة آن ماري شيمل من أنّها "تعتقد أنّ أقوال وكتابات جلال الدّين قادرة أن ترشدنا إلى سبيل الخلاص، وأن تهدينا إلى ينابيع الحقيقة" [115]، وفي معرض الإجابة عن سؤال "هل تعتقدين أنّ مولانا جلال الدّين لا يزال معاصرا لنا ؟"، أضافت المرحومة آن ماري شيمل قائلة : "نعم. لقد آكتشفت مولانا جلال الدّين الرّوميّ وأنا في الجامعة. وكانت الحرب قد بدأت، وفي ذلك الوقت الصّعب، مكّنتني أشعار وكتابات الرّوميّ من التّغلّب على اليأس والتّشاؤم اللّذين أصابا روحي" [116].

---

113) المرجع نفسه، ص 659-660.

114) المرجع نفسه، ص 731.

115) فكر وفنّ تحاور المستشرقة الألمانيّة أنّا ماري شيمل، صدر هذا الحوار في العدد 44 من مجلّة فكر وفنّ الألمانيّة، العام 23-1986م.

116) المرجع نفسه، ص ص 75-76.

ومن المفيد أن نؤكّد الاتّجاه الإيجابيّ في خصوص مستقبل العلاقة بين الشّرق والغرب في سياق التّذكير بالنّبوءة الخالدة الّتي أدرجها المستشرق الألمانيّ اسطفان ڤيلد [117] في خاتمة تأمّلاته حول تطوّر الدّراسات العربيّة والإسلاميّة في ألمانيا : "وختاما للملخّص الصّغير في تاريخ الدّراسات العربيّة والإسلاميّة، ماضيها وحاضرها في ألمانيا، أستشهد بقول الشّاعر غوته "الشّرق والغرب لا ينفصلان". هذه عبارة شاعر أقرب إلى النّبوءة منها إلى تقرير الحقيقة. ويحاول المستشرقون الألمان، قدر المستطاع، تحقيق هذه النّبوءة، وهم في ذلك يطمعون في نصيحتكم وتشجيعكم ومؤازرتكم" [118].

ويأبى جلال الدّين البلخيّ إلاّ أن يستأثر بكلمة الختام من خلال الدّعوة إلى نبذ الفرقة والتّعصّب والخصام، والعمل على توحيد الشّرق والغرب ضمن أمّة واحدة، وهي "أمّة العشق"، وبآعتباره "رمزا من الشّرق في ضمير الغرب"، يرى أنّ الكون مجال حيويّ، فهو بمثابة الطّائر الّذي يستحيل عليه التّحليق في فضاء الحرّية والإخاء، والسّلام والوئام، ما لم يتحقّق الوفاق والاتّفاق بين كلا جناحيه، الشّرقيّ والغربيّ [119]، وإن جاز التّنافس والتّسابق، فلا ينبغي أن يكون إلاّ في إطار ما يضمن السّعادة والرّفاهيّة للإنسانيّة قاطبة، وقد عبّر جلال الدّين البلخيّ عن هذا المعنى الإنسانيّ الرّاقي، بقوله من شعره العربيّ :

"يقول العشــق لي سرًّا : تنافــسْ وآبتغ بــرًّا
ولا تَفجر ولا تهجرْ، وإلّا تَبْتَئِسْ تَنْــدَمْ" [120].

---

117 اضطلع اسطفان ڤـيلد بمسؤوليّة مدير المعهد الألمانيّ في بيروت من 1968 م إلى 1973م.

118) ڤـيلد، اسطفان : لمحة عن تطوّر الدّراسات العربيّة والإسلاميّة في ألمانيا، ضمن كتاب : الدّراسات العربيّة والإسلاميّة في بعض البلاد الأوروبيّة، منشورات جامعة بيروت العربيّة، 1973م ص 48.

119) إلٰهـــامي، داود : عقل وعشق (العقل والعشق)، انتشارات نصر، قم/إيران، 1357 هجري شمسي/1978م، ص 29.

120) مولانا جلال الدّين محمّد البلخي، مشهور به مولوي، كلّيات ديوان شمس تبريزي، تحقيق أبو الفتح حكيميان استنادا على نسخة العلامة بديع الزّمان فروزانفرْ، انتشارات پژوهش، تهران، الطبعة الثانية، 1385 هجري شمسي/2006م، ج 1، ص 613.